جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

بناء الشخصية من منظور الدعوة الإسلامية وتأثير ذلك في الواقع المعاصر

الدكتور

رامي إبراهيم وجيه سعد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين
فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

بناء الشخصية من منظور الدعوة الإسلامية وتأثير ذلك في الواقع المعاصر

الدكتور

رامي إبراهيم وجيه سعد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين

فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

الإيميل: rami saad.adv@azhar.edu.eg

ملخص البحث

لقد قمت في هذا البحث ببيان أهم أبعاد الشخصية الإنسانية بصفة عامة، والتي تتمثل في: (الإيمان ــ الفطنة والذكاء ــ العقل والتفكير ــ السلام النفسي ــ العلاقات الإنسانية العامة ــ الإيجابية)، وبينت أن هذه الأبعاد تعد قاسماً مشتركاً بين جميع البشر، ووضحت أن الإسلام يقوم بالتغيير الكامل والشامل في شخصية الإنسان حينما يقوم ببنائها، حيث أن هذا البناء يشمل جميع جوانب الشخصية، فيبني الإسلام الجانب العقدي لدى الإنسان بناء مستقيماً خالياً من الانحراف والشطط، كما يبنى الجانب التعبدي لدى الإنسان بناء لا يعتريه نقص أو خلل، كذلك اهتم الإسلام ببناء الجانب الخُلقي لدى الإنسان، حيث يعد الجانب الخُلقي أبرز سمات الدين الإسلامي الحنيف، لأن الجانب الخُلقي يشمل جميع تصرفات الإنسان، وبينت أيضاً أن الإسلام لا يهتم بهذه الجوانب للإنسان فحسب، بل إن الإسلام اهتم كذلك بكل ما يتعلق ببناء الإنسان من النواحي الفكرية والجسدية والفردية والمجتمعية والنفسية والإنسانية، حيث راعي الإسلام في كل تلك الجوانب: الموازنة بين البناء الجسدي، والبناء الروحي للإنسان بحيث لا يغفل جانباً لحساب الآخر، فيكون لذلك أكبر الأثر في تقدم الأمم ورقيها، وبناء الحضارات.

الكلمات المفتاحية: بناء ــ الشخصية ــ الدعوة ــ الإسلامية.

Build Character from the Perspective of Islamic Advocacy and its Impact on Contemporary Reality

Dr. Rami Ibrahim Wajih Saad

Teacher and Islamic Culture, College of Fundamentals of Religion Branch of Al-Azhar University in Menoufia

E-mail: rami saad.adv @ azhar.edu.eg

RESEARCH SUMMARY

In this paper, I have outlined the most important dimensions of the human personality in general, which are: (faith - acumen and intelligence - reason and thinking psychological peace - public human relations - positive), and I showed that these dimensions are a common denominator among all human beings, and I explained that Islam is based on The complete and comprehensive change in a person's personality when he builds them, as this structure includes all aspects of the personality, so Islam builds the dogmatic side of a person without a deviation and delinquency, and the devotional side of the person builds a structure that does not suffer from shortage or defect, and Islam also cared about building the moral side In the human being, the moral aspect is the most prominent characteristic of the true Islamic religion, because the moral aspect includes all human behavior, and it also showed that Islam is not only concerned with the doctrinal, devotional and moral aspect of the human being, but that Islam also cares for everything related to building the human from the intellectual, physical, economic and societal aspects Where Islam has observed all of these aspects: the balance between the physical structure and the spiritual building of the human being so that one does not lose sight of one at the expense of the other, and this will have the greatest impact on the progress of nations and their progress, And building civilizations.

Key words: Building - Personality - Advocacy - Islamic.

المقدمة

الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينا، وأكرمنا بالقرآن هادياً ودليلا، وجعلنا من أتباع سيد المرسلين تشريفاً وتعظيماً، والصلاة والسلام على من بعثه ربه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، سيدنا محمد صلي الله عليه وآله وأصحابه خير خلق الله أجمعين وعنا معهم رحمةً وتفضيلا.

أما بعد:

فإن الإيمان الحق يدفع إلى السلوك المستقيم، حيث جاء الإنسان إلى الحياة ومعه فطرة نقية مهيأة لقبول الحق، وكل تغيير لنقاء هذه الفطرة وصفائها ما هو إلا تشويه لشخصية الإنسان الذي ينبغي أن يتجه اتجاهاً مستقيماً لا عوج فيه، وهو الاتجاه نحو الله تعالى والاستسلام له والاستعانة به في كل أمور الحياة وشئونها.

والشخصية المسلمة تقوم على الإيمان بالله تعالى ورسوله (ﷺ)، والتصديق بما جاء به عن طريق الوحي المعصوم، فهي لا تلتفت إلى الاجتهادات البشرية الخاطئة، أو التأويلات العقلية المنحرفة بسبب الأهواء، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١).

ومن أبرز ما تهدف إليه دعوة الإسلام هو: الوقوف على معالم الشخصية التي رسم معالمها وبين حدودها وحقق وجودها رسول الله (ﷺ) على أرض الواقع، وفق ذلك المنهج الرباني الرشيد، بعيداً عن أدران الجاهلية وشوائبها، فَأَحَلَّ العلم محلّ الجهل، والنور بدل الظلمة، والهدى بديلاً عن الضلال، وجعل منهم أمة مؤمنة صادقة وقوية، كانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن

(١) سورة الجاثية، الآية رقم ١٨.

المنكر وتؤمن بالله، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(١).

كما أن للشخصية المسلمة مقوماتها الخاصة، وأساس هذه المقومات جميعاً هو: العقيدة الإسلامية الصحيحة، لأنها القاعدة المنهجية لتشكيل عقل المسلم ونفسيته وأركانه الأخرى الجسمية والأخلاقية والاجتماعية، كما هي المحرك الأساس لضبط سلوكه وتصرفاته، فهو في الجانب العقلي يفكر على أساس الإسلام، وهو مقياسه الوحيد للمفاهيم، وفي الجانب الوجداني كذلك نجد المسلم يحب ويكره ضمن الحد الذي لا يتعارض مع محبة الله ورسوله (ﷺ)، كما أن الإسلام لا يفرق بين الجوانب الروحية والجسدية في الرعاية والاهتمام، والمسلم السوي كذلك.

وللشخصية المسلمة كذلك معالمها التي تُعرف بها، وسماتها الفارقة التي تدل عليها،

منها ما بينه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣ ﴾(٣)، ومنها ما بينه النبي (ﷺ) في قوله: «إِنَّ

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ١١٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات (١- ٩).

(٣) سورة الفرقان، الآية رقم ٦٣.

الْمُؤْمِنَ يَأْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»[1]، فبناء الشخصية في الإسلام يحتاج إلى عناصر ومقومات عديدة لتحديد معالمها.

لذا جعلت بحثي بعنوان: (بناء الشخصية من منظور الدعوة الإسلامية وتأثير ذلك في الواقع المعاصر**)**، حتى أسلط الضوء علي أبعاد الشخصية الإنسانية بصفة عامة ثم أبين كيف قامت شريعة الإسلام ببنائها من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وكان منهجي فيه على النحو الآتي:

أولاً: عَمدتُ إلى بعض كتب علم النفس واقتبست منها بعض النصوص التي تتحدث عن الشخصية الإنسانية وأبعادها بصفة عامة، ثم قمت بالتعليق عليها عند الحاجة لذلك، كما عمدتُ إلى بعض كتب التربية الإسلامية، وكذا كتب علم الاجتماع، وكتب الدعوة الإسلامية، وأيضا كتب التراث، لأبين من خلالها منهج الإسلام في بناء شخصية الإنسان وما لذلك من أثر في تقدم المجتمعات ورقيها، مدللا على ما ذكرت بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثانياً: قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها فإن اقتبست الآية كاملة ذكرت اسم السورة ثم رقم الآية، وإن اقتبست جزءا من الآية ذكرت اسم السورة أيضا ثم ذكرت أن هذا الاقتباس جزءا من الآية.

ثالثاً: قمت بتخريج الأحاديث المذكورة من كتب السنة المطهرة، وذلك بذكر من أخرجها من الأئمة في كتابه، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، فإني أكتفي بالعزو إلى مكانه منهما، وأغلب ما في البحث من الأحاديث في الصحيحين، وإذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، فأبين درجته

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كِتَابُ الْإِيمَانِ، ٥٩/٧٣/١. بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَا أَعْلَمُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

من الصحة أو الحُسن أو الضعف على سبيل الإجمال، وحرصت على عدم ذكر الأحاديث شديدة الضعف والموضوعة في هذا البحث.

رابعاً: قمت بتعريف الكلمات الغريبة الواردة في البحث من واقع كتب المعاجم والمصطلحات.

خامساً: قمت بتوثيق النصوص التي استشهدت بها وذلك بعزوها إلى مراجعها، فإن اقتبست النص كما هو دون تَدَخُل ذكرت اسم المرجع الذي تم الاقتباس منه، وإن تدخلت في النص بحيث اقتبست ما يتطلبه البحث دون الالتزام بصيغة النص كاملة، سبقت اسم المرجع الذي تم الاقتباس منه بكلمة (ينظر)، وإن أضفت أو غيرت كلمة أو أكثر في النص المقتبس ذكرت في نهاية ذكري للمرجع أن ذلك النص تم بتصرف، أو بتصرف يسير، حسب الإضافة أو التغيير.

وقد قسمت هذا البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث ومنهجه.

وأما التمهيد: فقد اشتمل على نقطتين، **أُولاهما:** التعريف بأهم مصطلحات عنوان البحث. **وثانيهما:** التغيير الجذري الذي تقوم به دعوة الإسلام في تكوين الشخصية وبنائها.

وأما المباحث: فقد اشتملت على الأبعاد الأساسية التي تتكون منها الشخصية الإنسانية، وكيف قامت شريعة الإسلام ببناء شخصية الإنسان، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: أبعاد الشخصية الإنسانية. وقد قسمته إلى ستة مطالب، وهي على النحو الآتي:

- **المطلب الأول:** الإيمان.
- **المطلب الثاني:** الفطنة والذكاء.
- **المطلب الثالث:** العقل والتفكير.
- **المطلب الرابع:** السلام النفسي.
- **المطلب الخامس:** العلاقات الإنسانية العامة.
- **المطلب السادس:** الإيجابية.

المبحث الثاني: المقاصد الشرعية لبناء الإنسان. وقسمته إلي سبعة مطالب، وهي على النحو الآتي:

- **المطلب الأول:** البناء العقدي للإنسان.
- **المطلب الثاني:** البناء التعبدي للإنسان.
- **المطلب الثالث:** البناء الأخلاقي للإنسان.
- **المطلب الرابع:** البناء الفكري للإنسان.
- **المطلب الخامس:** البناء الجسماني للإنسان.
- **المطلب السادس:** البناء الاقتصادي للإنسان.
- **المطلب السابع:** البناء المجتمعي للإنسان.

وأما الخاتمة: فقد تضمنت أبرز نتائج البحث وأهم توصياته.

تمهيد

أولا: التعريف بأهم مصطلحات عنوان البحث.

١- مفهوم (الشخصية) في اللغة والاصطلاح:

• الشخصية لغة:

اشتُقَت كلمة «شخصية» في اللغة العربية من الأصل الثلاثي «شخص»

والشَّخْصُ: جماعةُ شَخْصِ الإنسان وغيره مذكر، والجمع: أَشْخاصٌ، وشُخُوصٌ، وشِخاص، والشَّخْصُ: سوادُ الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكلّ شيء رأَيت جُسْمانَه فقد رأَيتَ شَخْصَه[١]، يقال: رأيت سواداً، أي: شخصاً[٢] وهو: كل جسم له ارتفاع وظهور[٣]، ولا يسمى شخصاً إلا جسم مؤلف له شخوص وارتفاع[٤]، والشخصية: صفَات تميز الشَّخْص من غَيره، ويُقَال فلَان ذُو شخصية قَوِيَّة ذُو صِفَات متميزة وَإِرَادَة وكيان مُسْتَقل[٥].

---

(١) ينظر: لسان العرب، لأبى الفضل جمال الدين بن منظور، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، (٢٢١١/٤).

(٢) التقفية في اللغة: لأبي بشر اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، تحقيق: د. خليل إبراهيم، مطبعة العاني – بغداد، ١٩٧٦م، (٢٣٧/١).

(٣) ينظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي، ط: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م، (١٨٦/٣).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبى العباس أحمد بن محمد الفيومي، ط: المكتبة العلمية – بيروت، بدون تاريخ، ٣٠٦/١.

(٥) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: دار الدعوة، بدون تاريخ، ٤٧٥/١.

• الشخصية اصطلاحا:

يعتبر مفهوم الشخصية من أكثر مفاهيم علم النفس تعقدا، فهو يشمل كافة الصفات والخصائص الجسمية والعقلية والوجدانية، في تفاعلها وفي تكاملها في الفرد الذي يتفاعل مع العالم المحيط به، ولهذا تعددت وتباينت الآراء التي تعالج مفهوم الشخصية وطبيعتها وخصائصها، ويحمل تعبير الشخصية معاني متعددة، ولهذا أيضا اختلفت وجهات نظر علماء النفس وتنوعت تفسيراتهم وتباينت طرق وأساليب دراستهم للشخصية(١).

ومن أهم هذه التعريفات ما يلي:

١- **الشخصية:** هي التصرفات أو السلوك الصادر عن الشخص(٢).

٢- **الشخصية:** نمط سلوكي مركب، ثابت ودائم إلى حد كبير، يميز الفرد عن غيره من الناس، ويتكون من تنظيم فريد لمجموعة من الوظائف والسمات والأجهزة المتفاعلة معا، والتي تضم القدرات العقلية، والوجدان أو الانفعال، وتركيب الجسم(٣).

٣- **الشخصية:** هي ما يمكننا من التنبؤ بما سيفعله الشخص عندما يوضع في موقف معين، وهي تختص بكل سلوك يصدر عن الفرد سواء أكان ظاهراً أم خفياً(٤).

---

(١) الشخصية: د. فيصل عباس، ص ٧، ط: دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

(٢) الأبعاد الأساسية للشخصية: د. أحمد محمد عبد الخالق، ص٣٤، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢م.

(٣) ينظر: قياس الشخصية، د. أحمد عبد الخالق، ص ٦٤، لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، الطبعة الأولي، ١٩٩٦م.

(٤) ينظر: الأبعاد الأساسية للشخصية، د. أحمد محمد عبد الخالق، ص ٤٠، مرجع سابق.

٤- **الشخصية:** هي التنظيم الدينامي[١] في الفرد لجميع التكوينات الجسمية والنفسية، وهذا التنظيم هو الذي يحدد الأساليب الفريدة التي يتوافق بها الشخص مع البيئة[٢].

٥- **الشخصية:** هي الصفات التي تُمَيز الإنسان عن غيره من النواحي النفسية والعقلية والعملية[٣].

٦- **الشخصية:** كل صفة تميز الشخص عن غيره من الناس تؤلف جانبا من شخصيته، فذكاؤه وقدراته الخاصة وثقافته وعاداته ونوع تفكيره وآراؤه ومعتقداته من مقومات شخصيته، كذلك مزاجه ومدى ثباته الانفعالي ومستوى طموحه وما يحمله في أعماق نفسه من مخاوف، وما يتسم به من صفات اجتماعية وخلقية كالصدق أو الكذب، والتسامح أو التشدد، هذا كله إلى ما يتميز به من صفات جسمية كالقوة وحدة الحواس[٤].

من التعريفات السابقة يمكن القول بأن شخصية الإنسان تعتبر: جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره تمييزاً واضحاً.

---

(١) يقصد بالتنظيم الدينامي: أي أنه ثابت إلى حد ما، ولكنه في الوقت نفسه متغير نتيجة التفاعل بين مختلف العوامل الشخصية والاجتماعية والمادية. الشخصية: د. فيصل عباس، ص ٧، مرجع سابق. ولفظة (دينامي) أصلها من اللغة الإغريقية وتعنى: فعّال ونشيط ومليء بالقوّة والحيويّة. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (٧٩٧/١).

(٢) الشخصية: د. فيصل عباس، ص ٧، مرجع سابق.

(٣) الأبعاد الأساسية للشخصية: د. أحمد محمد عبد الخالق، ص ٣٥، مرجع سابق.

(٤) ينظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص ٣٩٣، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٨م.

٢- مفهوم (الدعوة) في اللغة والاصطلاح:

- الدعوة لغة:

وردت كلمة دعوة في المعاجم اللغوية بمعان كثيرة، وهى تعود إلى الجذر اللغوي (د. ع. و) فالدال، والعين، والواو أصل واحد من دعا يدعو، فهي مصدر من الفعل الثلاثي (دعا)، والاسم منها: الدعوة، والقائم بها: داع أو داعية أُدخلت الهاء للمبالغة.

ففي لسان العرب: الدعوة من الدعاء، يقال: دعا الرجل دعواً ودعاء: ناداه، والاسم: الدعوة، ودعوت فلانا: صحت به واستدعيته، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضا حتى تجمعوا، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أُدخلت الهاء فيه للمبالغة(١).

وهي: (نداء للمشاركة في شيء، وهى: التجمع على شيء. فدعا الرجل: ناداه، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا)(٢).

(ودعوتُ الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبتُ فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً: ناديته وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله، والجمع: دعاة وداعون مثل: قاضٍ وقضاة وقاضون، والنبي داعي الخلق إلى التوحيد)(٣).

---

(١) لسان العرب: لأبى الفضل جمال الدين بن منظور ٢٦١/١٤، مرجع سابق.

(٢) القاموس المحيط: لأبي طاهر مجد الدين الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (٣٢٨/٤).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبى العباس أحمد بن محمد الفيومي ١٩٤/١، مرجع سابق.

وفى المعجم الوسيط: والدعوة أيضا من قولهم دعا بالشيء دعوا ودعوة ودعاء ودعوى: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حثه على قصده، ودعاه إلى الدين والمذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه(١).

وخلاصةُ القول: أن كلمة الدعوة في المعاجم اللغوية وردت بمعان كثيرة تدور كلها حول: الطلب، والنداء، والصيحة، والسوق إلى شيء، والتجمع للمشاركة في شيء، والحث على قصد شيء أو اعتقاده.

● **الدعوة اصطلاحا:**

اختلف العلماء في تعريف الدعوة لأن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة، ويرجع الاختلاف في التعريفات لتركيز بعضها على الأركان، وبعضها على الطرائق، وبعضها على الموضوع(٢).

وعلى هذا فقد تُطلق كلمة الدعوة ويراد بها: البلاغ ونشر الدين الإسلامي، وقد تطلق ويراد بها: دين الإسلام.

فالدعوة بمعنى البلاغ ونشر الدين الإسلامي هي: تبليغ الإسلام للناس وتعليمهم إياه وتطبيقه في مواقع الحياة(٣).

والدعوة بمعنى الدين هي: النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها سيدنا محمد (ﷺ) من عند ربه(٤).

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/ ٢٨٦، مرجع سابق.

(٢) دعوة الحق لهداية جميع الخلق: د. محمد شوقي نصار، ص ٤٠، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٦، ط: دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها: د. أحمد غلوش، ص ١٢، ط: دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

وبهذا المعنى فالدعوة الإسلامية تشتمل على مفهوم الدين الإسلامي من عقيدة وشريعة وأخلاق.

ثانيا: التغيير الجذري التي تقوم به دعوة الإسلام في تكوين الشخصية.

الإسلام هو الدين العظيم الذي ارتضاه الله تعالي للبشرية جمعاء دينا قيما خالداً لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢). هذا الدين العظيم كان له الأثر الواضح في تغيير النفوس والأفكار نحو الأفضل والأصلح بالنسبة لمعتنقيه، كما قال تعالي: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(٣).

ومن حق الشعوب أن تعرف ذاتها، لأن هذه هي نقطة البداية في مسيرة المجتمعات المتطلعة إلى الأمن النفسي(٤)، والاستقرار المجتمعي، ومعرفة الذات تطلع فطري وغريزي، سواء بالنسبة للأفراد أو المجتمعات، وعندما تضطرب هذه المعرفة ويكون طريقها متشعباً ومعوجاً، فمن الطبيعي أن يضطرب سلوك

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ١٩.

(٢) سورة المائدة، جزء من الآية رقم ٣.

(٣) سورة الإسراء، جزء من الآية رقم ٩.

(٤) الأمن النفسي يقال له أيضا (الأمن الشخصي)، والأمن النفسي من المفاهيم الأساسية في علم الصحة النفسية. والأمن النفسي هو: الطمأنينة النفسية والانفعالية، وهو الأمن الشخصي أو أمن كل فرد على حدة، والشخص الآمن نفسيا هو الذي يشعر أن حاجاته مشبعة، وأن مطالب نموه محققة، وأن المقومات الأساسية لحياته غير معرضة للخطر. ينظر: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص٣٨١، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

الفرد[١] أو تضيع شخصيته[٢]، وأن يصدر منها من أنواع السلوك ما يعتبر في موطن الإدانة.

والشخصية المسلمة هي وليدة ثقافة شمولية متكاملة، أسهمت في نمو تصورات فكرية وقيم سلوكية، جعلت المسلم في حالة انسجام مع ذاته، فلا يضيق بفكره، ولا يتناقض مع تصوراته وذلك لأن الإسلام دين الاعتدال[٣]، ولذلك جاءت شخصية المسلم متماسكة منسجمة تتسم بالأخلاق والمثل العليا، ولذلك فقد جعل النبي (ﷺ) الغاية الكبرى من بعثته الشريفة: بناء الأخلاق، فعَن أبي هُرَيرة (رضي الله عنه) أن النَّبِيّ (ﷺ) قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[٤]، وهذا هو الأصل في نمو الشخصية المسلمة وفي طبيعة تكوينها.

وعندما يقع التناقض بين الذات بمكوناتها العُضوية والغريزية والتصور الفكري المتعلق بالقيم، فسرعان ما ينعكس أثر ذلك التناقض على السلوك العام،

---

(١) يقصد باضطراب السلوك: شذوذ في السلوك لا يرتبط بسبب أو عَرض عُضوى، ويطلق على أنواع الشذوذ التي تؤدي إلى عدم توافق الفرد وخاصة في الجانب الاجتماعي. معجم علم النفس والتربية: مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، ص٤٦، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٤م.

(٢) ضياع الشخصية معناه: ضياع يفقد فيه الشخص إحساسه بحقيقة وجوده، ويرقب تصرفاته الذاتية وتصرفات الآخرين بتباعد ولا مبالاة. ينظر: معجم علم النفس والتربية، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، ص٤٣. مرجع سابق

(٣) ينظر: في الأصول الإسلامية للتربية، د. محمد عبد العليم مرسي، الجزء الأول، ص ٩٦، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

(٤) أخرجه البزار في مسنده ٨٩٤٩/٣٦٤/١٥. وأخرجه الحاكم في المستدرك، كِتَابُ: تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، باب: وَمِنْ كِتَابِ آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) الَّتِي هِيَ دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ ٤٢٢١/٦٧٠/٢، وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، ووافقه الذهبي.

فيقع التصادم بين الإنسان وذاته، وتتكفئ النفس على ذاتها في موقف رقابي يجسد حالة التيه والضياع، وتبرز آثار ذلك على السلوك العام في مواقف متطرفة وسلوكيات عُدوانية(١).

فالإنسان عندما يفتقد هويته يفتقد مشاعر الانتماء، والإسلام بالنسبة للمسلم هوية وانتماء، وعندما يختاره، فإنما يختار طريقا واضح المعالم، معبد المسالك، يوفر لسالكيه الأمن والاستقرار.

كما أن الثقافة الإسلامية تُعَد الامتداد الفكري لشخصية المسلم، وذلك يؤدي إلى استقامة النفس البشرية، لأن الشخصية الإنسانية السوية هي وليدة منهج تربوي متكامل، تتكاتف فيه القوى المحيطة بالإنسان من بيئة سليمة، وثقافة شمولية، وتربية أخلاقية تجعل الإنسان في موطن الرعاية والاهتمام، وهذا ما يتوفر داخل التربية الإسلامية وما لها من أثر في استقامة الطبائع البشرية، والتحكم في اندفاعاتها(٢).

(والإسلام عن طريق قيمه وتعاليمه ومبادئه، ونظرته إلى الحياة الفردية والجماعية في مجتمع يشعر فيه الإنسان بالأمن والأمان والاطمئنان على نفسه وعِرضِه وماله، مجتمع متماسك البنيان، من شأنه أن يحقق للفرد المسلم ولأبناء المجتمع الإسلامي التوافق النفسي(٣))==.

---

(١) ينظر: المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي، د. نبيل صالح سفيان، ص١٦٣، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

(٢) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية، د.عمر الشيباني، ص٧٢، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

(٣) يقصد بـ (التوافق النفسي): حالة يكون فيها الفرد متوافقاً نفسياً (شخصياً وانفعالياً واجتماعياً) أي مع نفسه ومع بيئته، ويشعر فيها بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين، ويكون قادراً على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكانياته إلى أقصى حد ممكن، ويكون قادراً=

==النفسي)[1]

كما أن المسلم ترجع مصادر خوفه إلى مصدر واحد هو: الخوف من ربه وحده، والأمن الذي ينشده لا يقتصر على هذه الحياة الدنيا وحدها، بل ينشد الأمن من عذاب الله تعالى يوم القيامة، وهذا يجعل الحاجة إلى الأمن في التصور الإسلامي أوسع من أي تصور آخر[2].

وقد قام الإسلام في كل بنائه على حماية الإنسان من الخوف والفزع والاضطراب، حيث يحقق الإسلام للمسلمين الأمن والسكينة والطمأنينة عن طريق عقيدة الإيمان التي تجعل النفس الإنسانية وحدة متآلفة متسقة، تواجه مصادر الفزع بثبات، (لذلك نجد أن المؤمنين الصادقين الذين سلمت نفوسهم وصفت قلوبهم واتسم سلوكهم بالسوية والضبط والالتزام بما أمر الله تعالي به، ورسوله (ﷺ) لم يتعرضوا للأمراض النفسية، والتي عادة ما تلازمها الأمراض العضوية، فهذه الأمراض بنوعيها تظهر مع ضعف الإيمان[3])[4].

=على مواجهة مطالب الحياة، وتكون شخصيته متكاملة سوية، ويكون سلوكه عادياً بحيث يعيش في سلامة وسلام. ينظر: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص٣١٣.

(١) السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص ٣٨١، مرجع سابق.، مدخل لدراسة السلوك الإنساني: د. جابر عبد الحميد، ص ١٧٧، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦م.

(٢) ينظر: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، د. محمد عز الدين توفيق، ص ٥١٥، مرجع سابق.

(٣) كثير من الأمراض العضوية قد تكون اختباراً من الله (ﷻ) مع وجود الإيمان، ومع ذلك فقد قدم الإسلام الطب الوقائي والطب العلاجي.

(٤) السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص ٣٩٣، مرجع سابق.

كما أن الصراع يظل قائماً في كيان النفس التي ضعف إيمانها، فمعرفة الله تعالي والإيمان به إيماناً صادقاً، والالتزام بما أمر به وما أوصي به نبيه (ﷺ) هو سبيل الإنسان إلى السكينة والطمأنينة والأمن، لأن الله (ﷻ) لا يفزع عباده المخلصين وهو خالقهم(١).

ويُمكن القول بأن الدعوة الإسلامية رسَّخت القيَم، وتغلغلت في النفوس بما تحمِل من تعاليم شملت مختلفَ جوانب الحياة، الاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكريّة....إلخ، منظومةً متكاملة لا يمكن فصلُها، بمعنى: أنّ القيم تشمل توجّهات الإنسان وكافّة شؤونه، ولا تقتصر على أموره الخاصة بالحياة الدنيا، وإنّما تشمل الحياة الآخرة كذلك، بالإضافة إلى شُمولها للمجتمع بأكمله، وعلاقة كلّ فردٍ بمجتمعه، وبذلك فإنّ القيم الإسلامية تقود المسلم إلى الطريق الصحيح في تحديد أهدافه وغاياته.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٩٤.

المبحث الأول

أبعاد الشخصية الإنسانية(١)

المطلب الأول

الإيمان

وجود البعد الديني في الشخصية الإنسانية وأثره الفاعل فيها لا مجال للتشكيك فيه، فضلا عن محاولة إنكاره، وذلك لوجود الشواهد الكثيرة الوفيرة

(١) يقصد بأبعاد الشخصية الإنسانية: مجموع الأبعاد التي تتفق والفطرة الإنسانية السليمة وتقوم عليها الشخصية الإنسانية وتكون بمثابة صفة مميزة لها ويمكن أن يكون لها مقياس متدرج يمكن من خلاله تصنيف الأفراد إلى حالات: السواء أو اللاسواء، بمعنى أنه: في حالة ترابط هذه الأبعاد فإنها تؤدى إلى تكامل الصفات العقلية والنفسية والاجتماعية والخُلقية للفرد وتحقق له كلا من: (التوافق الفعال مع البيئة التي يعيش فيها، وجودة الحياة)، حيث يتمتع الفرد بشخصية متكاملة ويكون قادراً على التنسيق بين حاجاته وسلوكه الهادف وتفاعله مع بيئته، والذي يتحمل عناء الحاضر من أجل المستقبل، ويتصف بتناسق سلوكه وعدم تناقضه، ويكون منسجما مع معايير مجتمعه دون التخلي عن استقلاليته، ومتمتعاً بنمو سليم و غير متطرف في انفعالاته، ومساهماً في مجتمعه، وفى هذه الحالة يصنف الفرد ضمن حالات: السواء،

وأما في حالة التعارض وعدم الترابط بين هذه الأبعاد تضعف الشخصية وتتفكك ويصاحب هذا التفكك تدهور في جوانبها، بالإضافة إلى حدوث تشوه في الإدراك والتفكير، وفى هذه الحالة يصنف الفرد ضمن حالات: اللاسواء، وعلى ضوء ما سبق يمكن تحديد أبعاد الشخصية الإنسانية في مجموعة من الأبعاد والتي هي محل هذا البحث، وتتلخص في: (الإيمان، الفطنة والذكاء، العقل والتفكير، السلام النفسي، العلاقات الإنسانية العامة، الإيجابية). لمزيد من التفصيل، ينظر: الأبعاد الأساسية للشخصية، د. أحمد محمد عبد الخالق، ص(٢٠١ – ٢٠٥)، مرجع سابق.، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي: د. نبيل صالح سفيان، ص(١٧١– ١٧٦)، مرجع سابق.

المتنوعة على صحة وأصالة القول بوجوده، وتغلغله في أعماق النفس الإنسانية، والتي من بينها النزوع الفطري لدى الإنسان بالخضوع أمام قوة عليا[١]، كما أن الشواهد التاريخية، وما يؤكده الباحثون في الحضارات الإنسانية، كلها تؤكد على أن الشعوب جميعها وبدون استثناء وفي كل مراحل التاريخ مصبوغة بالصبغة الدينية[٢]، وأن الحفريات[٣] دلت على وجود أماكن للعبادة من كنائس

(١) ينظر: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، د. محمد عز الدين توفيق، ص٥٢٠، ط: دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

(٢) وجود بعض الملحدين الذين لا يعترفون بوجود إله خالق لهذا الكون، فى أي عصر من العصور، لا يلغي عمومية هذا الدافع(الإيمان)، فالإلحاد انحراف في إشباع هذه الحاجة، وبدل أن يجعل الفرد معبوده الإله الحق، يتخذه من هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان مثل: الصدفة، والطبيعة، والوجود... والعلم:. والتطور:.، لكن الذي لا ينكره ملحد: أن الإلحاد لا يجتمع مع سكينة النفس وطمأنينة القلب، وهذا تأكيد لدافع الإيمان، فالإنسان لا يقنع بالأجوبة السطحية التي يسمعها عن أسئلته التاريخية عن المنشأ والغاية والمصير حتى يصادف الإجابة التي يتردد صداها في أعماق فطرته، فعند ذلك فقط تسكن نفسه ويرتاح ضميره.. وقد بعث الله الرسل (b) ليشبعوا هذه الحاجة بالطريق السوي حتى لا ينحرف الإنسان فيدعو ﴿ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ ﴾، (سورة الأحقاف، جزء من الآية رقم ٥)، أو يعبد من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورا. ينظر: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، د. محمد عز الدين توفيق، ص ٥٢٠، مرجع سابق.

(٣) (الحفريات) عملية تُجرى لاستكشاف موقع أثري، ينفذها مختصون بعناية كي لا يتلفوا منها شيئاً، و(علم الحفريات): هو تلك الدراسة العلمية الخاصة بحياة ما قبل التاريخ، فهو يقوم بدراسة الحفريات من أجل التحقق من التطور والتفاعل الذي حدث لهياكل الكائنات المختلفة، ونوعية البيئات التي تعيش فيها. ينظر: الحفريات، كيث طومسون، ترجمة: أسامه فاروق حسن، ص ١٠، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

وأديرة ومساجد...في كل العصور، وعلى مر الدهور، وتعاقب الأزمنة، وتوالي الأجيال، مما يثبت عدم خلو أي حقبة زمنية من الدين والإيمان(١).

نعم قد تختلف الطريقة المتبعة والسلوك العملي في إشباع هذا البعد (الإيمان) كما هو الحال في سائر الأبعاد الأخرى، كما أنه من الممكن أن تقوى أو تضعف هذه الأبعاد الفطرية العامة لدى الإنسان، وذلك وفق التوازن وعدمه في تعامله معها، وكذا وفق ما تواجهه هذه الأبعاد من حث عليها، ودعوة إليها، أو محاربة مضادة لها، مما يساهم في ظهورها بقوة تارة، وخفوتها تارة أخرى، ولكنها لا تموت ولا يمكن القضاء عليها أبدا(٢).

كما أن نظرية (الكمال الحديثة)(٣) تمتاز بأنها تَعُد التعبد من الأعمال العقلية والروحية وخواص الذات الإنسانية وتضمها إلى قائمة الواجبات الإنسانية العليا.

ولابد من إرضاء النزعات الدينية التي تنزع إلى العبادة والاتصال بالله تعالى والترقي بها، ولابد كذلك من الاعتراف بالقيم الدينية وجعلها هدفا لحياتنا الروحية(٤).

---

(١) ينظر: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: د. محمد عز الدين توفيق، ص ٥٢١، مرجع سابق.

(٢) ينظر:علم نفس الشخصية: كامل محمد عويضة، ص ٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٣) نظرية (الكمال الحديثة) تعترف بأنه يوجد داخل الإنسان دوافع نفسية تدفعه إلى الحياة الدينية وأنه من الواجب إرضاء هذه الدوافع، وتعترف أيضا: بصحة القيم الدينية وأنه من الممكن أن يقع اتصال بين العبد والرب، وأن هذا الاتصال مصدر سعادة نفسية لكل من يصل إليه وأنه يمده بالقوة والبصيرة التي تعينه على مواجهة مشاكل الحياة. لمزيد من التفصيل، ينظر: مدخل إلى علم النفس الإسلامي، د. محمد عثمان نجاتي، ص (٣٩ـ ٤٣)، ط: دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٤) ينظر:علم نفس الشخصية، كامل محمد عويضة، ص ٢٨، مرجع سابق.

وهذه النزعة الدينية أوالتدينية لدى الإنسان والمتمثلة في: شعوره الديني العميق ونزعته نحو الإيمان بقوة عليا تُسَيطر على هذا الكون، ونحو الإيمان بالأمور الغيبية بصورة عامة، هذا الشعور الديني أمر فطري في الإنسان يولد وهو مزود بالاستعداد له(١).

وهو في الوقت نفسه يعبر عن حاجة أساسية من حاجات الإنسان التي لا تتم سعادته بدون تحقيقها، فهو في حاجة إلى الإيمان بقوة عُليا خارجة عن ذاته وعن الكون المادي الذي يعيش فيه، بغض النظر عن نوع المعبودات التي يتوجه إليها الإنسان بذلك(٢).

يبدأ هذا الاستعداد الفطري في بروزه و تفتحه عندما يصطدم الإنسان بهذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا:ما العالم؟ وما الإنسان؟ من أين جاءا؟ ومن صنعهما؟ من يدبرهما؟ ما هدفهما؟ كيف بدءا؟ وكيف ينتهيان؟ وما هي الحياة؟ وما هو الموت؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا أثناء عبورنا في هذه الدنيا؟ أيّ مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة الغابرة؟ وما علاقتنا بهذا الخلود؟(٣)،

هذه الأسئلة، لا يوجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولا ذات علاقة بالدين أي (بذات غيبية علوية) وأحس بضرورة الإيمان بهذه الحلول(٤).

---

(١) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية، د.عمر الشيباني، ص٨٥، مرجع سابق.

(٢) التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: د. محمد عز الدين توفيق، ص ٥١٩، مرجع سابق.

(٣) ينظر: الطاقة الروحية، هنري برغسون، ترجمة: د. على مقلد، ص (٦ــ٧)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية: د.عمر الشيباني، ص٨٦، مرجع سابق.

لهذا قال هنرى برغسون(١): لقد وُجِدَت وتُوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة(٢).

ذلك أن هذا الإحساس أصيلٌ يجده الإنسان غير المتدين كما يجده أعلى الناس تفكيرا، وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية(٣).

بل إن (فطرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل الجمال و القبح، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه، فلا يسع العقل إلا أن يُسلَم بأن وراء كل مرحلة يقطعها من عالم الشهادة الملموس، مراحل أخرى من عالم الغيب المجهول)(٤)، فيعود صاغراً وقد آمن بحدوده البشرية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾(٥) ووكل تمام العلم وكماله إلى خالق هذا الكون ومبدعه، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾(٦)، وراح يستلهمه التوفيق في بحثه العلمي على أساس من الواقعية والتواضع والشجاعة و الثقة والإيمان.

---

(١) (هنري برغسون) فيلسوف فرنسي (١٨ أكتوبر ١٨٥٩م – ٤ يناير ١٩٤١م)، حصل على جائزة نوبل للآداب عام١٩٢٧م، يعتبر (هنري برغسون) من أهم الفلاسفة في العصر الحديث، كان نفوذه واسعاً فقد أذاع لونا من التفكير وأسلوباً من التعبير تركا بصمة على مجمل النتاج الفكري في مرحلة الخمسينيات من القرن العشرين، ولقد حاول أن يُنقذ القيم التي أطاحها المذهب المادي الذي لا يؤمن إلا بالمحسوس، ويؤكد الإيمان بوجود الروح. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٢) ينظر: الطاقة الروحية، هنري برغسون، ترجمة: د. على مقلد، ص ٩، مرجع سابق.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية: د.عمر الشيباني، ص٨٦، مرجع سابق.

(٤) أسس التربية الإسلامية وطرق تدريسها: عبد الرحمن نحلاوي، ص ٣، ط دار الفكر، دمشق، بدون تاريخ.

(٥) سورة الإسراء، جزء من الآية رقم ٨٥.

(٦) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ٢٣١.

فالرغبة الظامئة إلى الاستزادة من المعرفة[١]، وحب الوصول إلى اليقين أمام المشكلات الكونية الكبرى مع عجز الإنسان عن الوصول إلى جواب شاف عن هذه المشكلات بدون اللجوء إلى الإيمان والاعتقاد و الوحي. كل ذلك يدل على أن النفس الإنسانية مفطورة على التدين والخضوع إلى الذات الإلهية والتسليم لها بالعلم والقدرة والكمال[٢].

ولكون هذه النزعة الدينية أو التدينية ميلاً فطرياً يعبر عن حاجة أساسية من حاجات الإنسان التي لا تتم سعادته بدون تحقيقها، فإنها وجدت منذ بداية وجود الإنسان وستبقى لا يغيرها تطور أو تقدم في الحياة المادية.

يقول الدكتور: محمد سعيد البوطي (رحمه الله): (ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الإنسان بتقدمه المادي أصبح أكثر حاجة إلى الإيمان وإلى هداية الدين وتوجيهه، فبالرغم من كل ما أحرزه الإنسان من تقدم في حضارته الحديثة وما تهيأ له فيها من أسباب العلوم والمعارف التي لم يكن يحلم بها من قبل، فإنه لم يستطع أن يزحزح شيئاً من السُنَن المنتظمة التي يخضع لها الكون، فهو لا يزال يستجدى الأرض – كأجداده السالفين – طعامه، ويستمطر السماء شرابه، ولا يزال يموت بنفس الطريقة التي تموت بها أي ذُبابة ضعيفة في الكون... ولقد عجز علم العلماء كلهم عن أن يقضي قضاءه المبرم على هذا الشبح المرعب "الموت" الذي لا يزال ملتصقاً بخناق الإنسانية منذ أقدم الدهور)[٣].

---

(١) وصدق الله العظيم إذ يعلمنا أن نقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ سورة طه، جزء من الآية رقم ١١٤.

(٢) ينظر: أسس التربية الإسلامية وطرق تدريسها، عبد الرحمن نحلاوي، ص (٢ – ٩)، مرجع سابق.

(٣) ينظر: نظام السلوك الإنساني انعكاس لواقع النظام الكوني، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٠٣ أغسطس ١٩٧٣، ص (٧٠ – ٧٣).

وإذاً فإن إنسان الحضارة الحديثة لا يزال – بموجب كل ما ذُكر–عبداً مملوكاً لخالق عظيم، لم تتهيأ له من المدارك و العلوم إلا ما هو جدير بأن يزيده انتباهاً إلى زمام العبودية اللاصق بعنقه...

ولسوف يبقى الإنسان عبداً مملوكاً لخالقه، يدين له بسائر مظاهر العبودية في السلوك، ما دام وجود الخالق حقيقة تسمو فوق كل شك وريب، وما دامت آثار هذه العبودية لاصقة به لا تنفك عن كاهله ولا يتحرر عن تبعاتها)[1].

إذاً فحاجة الإنسان إلى الدين حاجةٌ فطريةٌ، تفوق حاجته إلى الطعام والشراب، حيث يؤدي البعد عن الدين إلى الشعور بالضيق والمعاناة، أي أنّ الإنسان لا يستطيع البُعد عن الدين، وقد دلّ الحسّ على أنّ التديّن ضرورةٌ فطريةٌ لا يمكن الاستغناء عنها، هذه الدلائل الحسية تتجسد في حاجة الإنسانية لوجود الضوابط والقوانين التي تنظم حياة الفرد وعلاقته بالآخرين،

فالإنسان لا يستطيع العيش بلا دين وتعظيم وتقديس لإله، أي أنّ الدين من الأمور الضرورية للإنسانية والمغروسة فيها، وبه يتحوّل اعتقاد البشرية إلى الاعتقاد الناضج السليم الصحيح، فوجود الله تعالى من الأمور البدهية التي يدركها الإنسان بفطرته وطبيعته، والدين ينمو ويرتقي عند الإنسان بحسب البيئة والظروف المحيطة به.

وبالنظر إلى اتساع المدارك الفكرية والمعرفية، يدرك الإنسان الأدلة على وجود الله تعالى، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

---

(١) ينظر: نظام السلوك الإنساني انعكاس لواقع النظام الكوني، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٠٣ أغسطس ١٩٧٣، ص ٧٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٨.

فالله تعالى شهد على أنّه المتفرّد بالإلوهية، وقرن شهادته بشهادة الملائكة وأولى العلم، (فأولوا العلم استنبطوا الأدلة من الكون التي تدل على أنه لا إله إلّا الله، وكذلك هم الذين يعرفون حقيقة دين الإسلام من بين سائر الأديان بالدليل، وغيرهم إنما يعرفون ذلك تقليدا لهم)[1]، فكانت شهادة الله تعالى لنفسه ومن بعد ذلك شهادة الملائكة من أعظم الشهادات.

(١) ينظر: الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، نجم الدين أبو الربيع سليمان الحنبلي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، باب: القول في سورة آل عمران، ص١٢٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

المطلب الثاني
الفطنة والذكاء

ويشتمل هذا المطلب على نقطتين:

النقطة الأولى: معنى الفطنة والذكاء لغة واصطلاحا، والفرق بينهما.

- **معنى الفِطْنَة لغةً:**

أصل هذه المادة: (ف، ط، ن) يدلُّ على ذكاءٍ وعلم بشيء. والفِطْنَة والفَطَانَة كالفهم، وهي ضِدُّ الغَباوة، ورجل فَطِنٌ: بَيِّنُ الفِطْنَة، وفَطُنَ - بالضم - إذا صارت الفَطَانَة له سجيَّة، ورجل فَطِنٌ بخصومته:عالم بوجوهها حاذق، ويتعدَّى بالتَّضعيف، فيقال: فَطَّنتُهُ للأمر(١).

- **معنى الفِطْنَة اصطلاحًا:**

قال العسكري: الفِطْنَة:العلم بالشَّيء من وجه غامض(٢).

وقال الرَّاغب: الفِطْنَة: سرعة إدراك ما يُقْصد إشكاله(٣).

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأبى الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٥١٠/٤).، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (٣٥/٨).، لسان العرب: لأبى الفضل جمال الدين بن منظور ٣٢٣/١٣، مرجع سابق، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبى العباس أحمد بن محمد الفيومي ٤٧٧/٢، مرجع سابق.

(٢) معجم الفروق اللغوية: الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، (٨٥/١).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي، ص ١٤٣، ط: دار السلام ــ القاهرة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

وقال الكفوي: الفِطْنَة: التَّنَــبُّه للشَّيء الذي يُقْصد معرفته(١).

- **معنى الذَّكاء لغةً:**

الذَّكاء: سُرْعة الفِطْنَة، مِنْ قولك: قلب ذَكِي وصَبِي ذكِي، إذا كان سريعَ الفِطْنَة، وقد ذَكِيَ – بالكسر– يَذْكَى ذَكًا. ويُقَال: ذَكا يَذْكُو ذَكاءً، وذَكُوَ فهو ذكِيٌّ. ويُقَالُ: ذَكُوَ قَلْبُه يَذْكُو إِذَا حَيَّ بَعْدَ بَلادَةٍ(٢).

- **معنى الذَّكاء اصطلاحًا:**

قال المناوي: الذَّكاء: سرعة الإدراك، وحِدَّة الفهم(٣).

وقال الكفوي: الذكاء: شدَّة قُوَّة النفس، مُعدَّةٌ لاكتساب الآراء بحسب اللغة. وفي الاصطلاح: قد يستعمل في الفطانة، يقال: رجل ذكي، وفلان من الأذكياء، يريدون به المبالغة في فطانته، كقولهم: فلان شعلة نار(٤).

- **الفرق بين الفِطْنَة والذَّكاء:**

قال العسكري: الذَّكاء تمام الفِطْنَة، من قولك: ذَكَت النَّار إذا تمَّ اشتعالها، وسُمِّيت الشَّمس ذكاءً، لتمام نورها. والتَّذكية: تمام الذَّبح، ففي الذَّكاء معنى زائدٌ على الفِطْنَة(٥).

---

(١) ينظر: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبى البقاء أيوب بــن موســى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ــ محمد المصري، ط: مؤسسة الرســالة ــ بيــروت، بدون تاريخ، ٤٥٦/١.

(٢) لسان العرب: لابن منظور ٢٨٧/١٤، مرجع سابق.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المناوي، ص ١٧١، عــالم الكتــب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.

(٤) الكليات: للكفوي ٤٥٦/١، مرجع سابق.

(٥) معجم الفروق اللغوية: الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءاً من كتاب السيد نــور الدين الجزائري ٨٥/١، مرجع سابق.

النقطة الثانية: الفطنة والذكاء بعدان أساسيان من أبعاد الشخصية.

اتفق علماء النفس على أن الفطنة والذكاء بعدان أساسيان في شخصية الإنسان(١)، وقد وضعوا لهما عدة تعريفات.

فقال البعض: بأن الفطنة هي: قدرة الفرد على استقراء الحدث قبل أن يحدث(٢)، وقال البعض الآخر: الفطنة هي: قدرة الفرد على توظيف ما لديه من قدرات عقلية في اكتشاف الأمور التي يغلب عليها الغموض(٣).

كما وضعوا عدة تعريفات للذكاء، فمنهم من قال بأن الذكاء هو: القدرة على التفكير المجرد(٤)، أو هو: القدرة العامة على التكيف العقلي للمشاكل ومواقف الحياة الجديدة(٥).

أو هو: القدرة على التعلم.أو هو: القدرة على الاستفادة من الخبرات السابقة في حل المشكلات الحاضرة والتنبؤ بالمشكلات المستقبلة(٦).

والواقع أن هذه التعريفات ليست متنافية أو متمانعة، كما قد يبدو من ظاهرها. بل متداخلة وبينها أوجه شبه، فالتعلم يتطلب تكيفاً وتفكيرا، والتكيف

---

(١) ينظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص ٣٤٥، مرجع سابق.، قياس الشخصية: د. أحمد عبد الخالق، ص ٨٠، مرجع سابق.

(٢) ينظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص ٣٤٦، مرجع سابق.

(٣) ينظر: أسس علم النفس، د. عبد الستار إبراهيم، ص ٣١٩، دار المريخ للنشر، الرياض، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

(٤) ينظر: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص ٢٦٢، مرجع سابق.

(٥) ينظر: التفوق العقلي والابتكار، د. عبد السلام عبد الغفار، ص ٤٧، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٧٧م.

(٦) ينظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص ٣٤٦، مرجع سابق.

يقتضي تفكيراً أو ابتكارا، فهي تعريفات متقاربة للفطنة والذكاء تدور كلها حول: الفهم، والابتكار، والنقد، والقدرة على توجيه الفكر في اتجاه معين(١).

إذاً فالفطنة والذكاء مصطلحان يشملان ويتضمنان القدرات العقلية المتعلقة بالقدرة على التحليل، والتخطيط، وحل المشكلات، وبناء الاستنتاجات، وسرعة التصرف، كما يشملان القدرة على التفكير المجرد، وجمع وتنسيق الأفكار، وسرعة التعلم، وهما قاسمان مشتركان بين جميع البشر إلا أنهما يزيدان وينقصان من شخص لآخر

ويرجع ذلك: إما للعوامل الوراثية التي يرثها الإنسان من أبويه، وإما للعوامل البيئية التي يكتسبها بفعل التعلم والتدريب والتي يكون لها أكبر الأثر على عقل الإنسان(٢).

مما سبق يُمكن القول: بأن الفطنة والذكاء أحد الأدوات الأساسية التي يستخدمها العقل للقيام بوظيفته، والتي تتمثل في: التفكير الإيجابي الذي يقود صاحبه إلى السلوك السوي والهادف، والذي تنعكس آثاره على شخصية الإنسان، هذه الأداة (الفطنة والذكاء) لا تكتسب طابعاً إيجابياً إلا في حالة التوظيف العبادي الصحيح لها، كما أن الممارسة العبادية لا تكتسب طابعاً إيجابياً إلا في حالة سلامة الجهاز العقلي الذي هو مناط التكليف والذي يقود صاحبه إلى الوصول إلى خالقه سبحانه، أمَّا في حالة عدم التوظيف العبادي

---

(١) ينظر: الإسلام وعلم النفس، د. محمود البستاني، ص ١٢٤، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م، أصول علم النفس: د. أحمد عزت راجح، ص ٣٤٦، مرجع سابق.

(٢) ينظر: أسس علم النفس، د. عبد الستار إبراهيم، ص ٣١٩، مرجع سابق.، التفوق العقلي والابتكار: د. عبد السلام عبد الغفار، ص ٥٨، مرجع سابق.، الإسلام وعلم النفس: د. محمود البستاني، ص ١٢٥، مرجع سابق.

الصحيح لها فإن هذه الأبعاد (الفطنة والذكاء) تفقد دلالتها الإيجابية وتودي بصاحبها إلى الانحراف عن الطريق المستقيم الموصل إلى الخالق (ﷻ).قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]،

قال الإمام الزمخشري (رحمه الله): قيل في تكرمة ابن آدم: كرمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المعتدلة[2].

وقال الإمام الفخر الرازي (رحمه الله): وَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ الْكَرَامَةِ: حُسْنَ الصُّورَةِ، وَمَزِيدَ الذَّكَاءِ، وَالْقُدْرَةَ عَلَى الْأَعْمَالِ الْعَجِيبَةِ [3].

(١) سورة الإسراء، الآية رقم ٧٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، ٢/(٦٥٣ــ ٦٥٤).

(٣) مفاتيح الغيب: للإمام الفخر الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، (٢/ ٤٣٧).

المطلب الثالث
العقل والتفكير

يعد (العقل والتفكير) أحد الأبعاد الأساسية في تكون الشخصية[١]، فالعقل هو القدرة الذهنية التي يملكها الإنسان ويتميز به عن غيره من المخلوقات الأخرى، ومن مهام هذا العقل ووظائفه: التفكير في جميع الأمور المختارة، وتخزين المعلومات عبر الذاكرة، وتحليل المعلومات المطروحة وتحديدها، وأيضاً يُعنى العقل بالتحكّم بالمشاعر، والعواطف، والسيطرة عليها، ومن وظائفه الأساسية تحديد الشخصية، وتطويرها، وتحسين الطباع والعادات الخاصة[٢].

فعقل الإنسان يحوي الكثير من الخبرات والأفكار، ويستطيع الفرد أن يكتشف خبايا قدراته الفائقة[٣] عندما يفحص كل ما يثير اهتمامه ويفكر فيه.

---

(١) ينظر: الشخصية في ضوء علم النفس، د. محمد محمود الجبوري، ص ٩، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م.

(٢) ينظر: أسس علم النفس، د. عبد الستار إبراهيم، ص ٢٨٠، مرجع سابق.

(٣) لقد أثبتت تجارب العلماء في هذا المجال أن الإنسان يملك قدرات فكرية كبيرة في عقله الباطن لكنها لا تظهر إلا عندما تُدعى للظهور بعد إزالة كل العوائق التي كانت تمنعها، وذلك عن طريق ما يسمي بـ (العصف الذهني)، والذي كان يعتمد على الاسترخاء التام للفرد وسرده في نفس الوقت لكل ما يخطر بباله من أحداث أو أمور ذات قيمة أو غير ذلك، حتى يستطيع أن يحرر عقله من قيوده، وبالتالي يساعد المحلل النفسي على الوصول إلى أسباب الصراع والعُقد النفسية داخل الإنسان. ينظر: مهارات التفكير الإبتكاري، د. محمد عبد الغني حسن هلال، ص ٤١، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

والشخصية الإنسانية تفكر، وتحاول أن تفهم ما يدور حولها، ثم تقوم غالبا بالتصرف وفقا لما ترسمه وتفكر فيه[١].

ولاشك أن الإنسان يتمتع دون غيره من الكائنات الحية بالتركيب المعجز للمخ لأنه أصل التفكير من الناحية الفسيولوجية[٢].

والذي عن طريقه يستجيب الإنسان باعتباره نظاما ديناميكيا متكاملا للقوي الخارجية[٣]، فالتفكير هو: كل نشاط عقلي أدواته الرموز[٤]، أي يستعيض عن الأشياء والأشخاص والموقف والأحداث برموزها بدلاً من معالجتها معالجة فعلية واقعية.

---

(١) ينظر: الشخصية، د. فيصل عباس، ص ٨٥، مرجع سابق.

(٢) هناك مصطلح يسمي (علم النفس الفسيولوجي) يتكون من مصطلحين، علم النفس، وعلم الفسيولوجيا، وهو العلم الذي يدرس العلاقة بين السلوك والأعضاء من أجل إيجاد تفسير فسيولوجي أو عضوي للسلوك الإنساني، فعلم الفسيولوجي هو: العلم المختص بدراسة وظائف الأعضاء. ينظر:علم نفس الشخصية، كامل محمد عويضة، ص ٢٢١، مرجع سابق.

(٣) ينظر: دراسات في أساليب التفكير، د. مجدي عبد الكريم حبيب، ص ٢٣٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

(٤) يقصد بالرمز: كل ما ينوب عن الشيء، أو يشير إليه، أو يعبر عنه، أو يحل محله في غيابه:. والرموز التي يستخدمها التفكير عبارة عن أدوات مختلفة، منها: الصور الذهنية، والمعاني، والألفاظ، والأرقام، ومنها: الذكريات، والإشارات، والتعبيرات، والإيماءات، وكذلك الخرائط الجغرافية والصيغ الرياضية، وبهذا المعنى يشمل التفكير جميع العمليات العقلية من التصور، والتذكر، والتخيل، وأحلام اليقظة إلى عمليات: الحكم، والفهم، والاستدلال، والتعليل، والتعميم، والتخطيط، والنقد، وغيرها، ومن هذا يتضح أن للتفكير مستويات تختلف صعوبة وتعقيدا. ينظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص ٢٧١، مرجع سابق.

والتفكير من حيث هو نشاط يستخدم الرموز قد أعان الإنسان على استعراض الماضي والانتفاع من خبرته السابقة، كما أعانه على التنبؤ بالمستقبل والاستعداد له، وعلى أن يتبصر في عواقب أعماله. فبفضل التفكير تسني للإنسان أن يعيش في الماضي وفي المستقبل، واستطاع أن يتميز على الحيوان بقدرته على تصور الغاية من سلوكه، وتخيل الوسائل وابتكار الحيل التي تؤدي إلى تحقيق هذه الغاية، وبفضله استطاع الإنسان أن يتعلم(١) من خبرات الآخرين ممن هم في غير زمانه ومكانه(٢).

والتفكير وظيفة عقلية وعملية معرفية بالدرجة الأولى، وأهم ما يتميز به(٣) هو: أنه لا يتقيد بحدود الزمان والمكان، إذ يستطيع الفكر أن يخترق المسافات، وأن يتصور مواقف ليست في متناول الحواس(٤).

---

(١) هناك دلائل تؤكد أن التعلم يتم من خلال الوعي والتفكير والتأمل والاستبصار، ويطلق على هذا النوع من التعلم: (التعلم المعرفي) ولكي ينجح مثل هذا النوع من التعلم لابد من شروط منها: أن يكون الشخص نشطا وفعالا في تعلمه، وأن يكون قادراً على الاستبصار، وأن يستنتج الرموز المصاحبة للمواقف الاجتماعية المختلفة التي يمر بها. ينظر: أسس علم النفس، د. عبد الستار إبراهيم، ص ٢٧٨، مرجع سابق.

(٢) ينظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص ٢٧٢، مرجع سابق.

(٣) هناك ما يسمي بـ (التفكير المثالي) والذي يعنى بتكوين وجهات نظر مختلفة تجاه الأشياء، والاهتمام باحتياجات الفرد وما هو مفيد بالنسبة له، وأيضا تركيز الاهتمام على ماهو مفيد للناس والمجتمع. ينظر: دراسات في أساليب التفكير، د. مجدي عبد الكريم حبيب، ص ٢٠، مرجع سابق.

(٤) ينظر: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص ٢٧٣، مرجع سابق.

ويختلف الأشخاص فيما بينهم اختلافاً كبيراً في القدرات العقلية والمعرفية[١]، هذا الاختلاف أصبح معروفا نتيجة الأبحاث والتجارب العديدة التي أجريت حول هذا الموضوع، وقد أثبتت هذه الأبحاث والتجارب أن الناس يُولدون مختلفين، وأن الخبرات المختلفة[٢] التي يمرون بها خلال حياتهم تزيد من هذه الفروق[٣].

ولذلك أصبحت أهداف التربية غير مقصورة على ناحية واحدة من نواحي تكوين الشخصية وهي ناحية تحميل المعارف والمواد الأساسية، وإنما امتدت لتشمل جميع مظاهر شخصية الإنسان العقلية والمزاجية والاجتماعية... إلخ، لتعمل على نموها ومدها بما يساعد على الاستفادة من كافة إمكانياتها في الاتجاه المرغوب فيه[٤].

(١) ينظر: الشخصية في ضوء علم النفس، د: محمد محمود الجبوري، ص ٣٧٧، مرجع سابق.

(٢) يقصد بالخبرات المختلفة: مجموع المواقف والأحداث المستمدة من البيئة من خلال التفاعل معها والقدرة على استرجاعها والاستفادة منها، فالإنسان يعيش دائما في مواقف تتحول إلى جزء من تاريخه، ولكن تختلف القدرات من شخص لآخر من حيث مقدرته على الاستفادة بما لديه من خبرات سابقة. ينظر: مهارات التفكير الإبتكاري، د. محمد عبد الغني حسن هلال، ص٦٦، مرجع سابق.

(٣) ينظر: القدرات العقلية (خصائصها وقياسها)، د. إبراهيم وجيه محمود، ص ٤، ط: دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٧.

وأيضا لجعل الشخص قادراً على تغيير اتجاهه العقلي في التفكير[1]، أي إعادة بناء وتنظيم وترتيب عناصر المشكلة التي تفرضها طبيعة الظروف أو الإمكانات المحيطة.

إذاً يمكن القول بأن الشخصية الإنسانية تتميز من المنظور الديني بأنها شخصية عقلانية، أي يسيطر العقل فيها على تصرفات الفرد(دوافعه، وعواطفه، وطريقة تفكيره)، فسلوك الفرد المتدين لا يخضع للإندفاع، ولا للميل الأناني والهوى الشخصي الذي تضيع فيه قيم الحق والعدل، وتتلاشي أمامه قواعد الأخلاق، ويرجع هذا إلى انسجام العقل مع القلب، فجوارح الشخصية الدينية منسجمة مع بعضها البعض ولا تعارض فيما بينها.

فالعقل هو أحد الأركان الأساسية للشخصية التي من خلالها يمكن الوصول إلى الحقائق والعلوم في مختلف المجالات، والتفكير هو وظيفة العقل، فالفرد لا يستطيع العيش ومواجهة ما يعرض له من مشكلات في حياته إلا بالتفكير ولا يكون التفكير إيجابياً إلا عندما يكتمل العقل باكتمال الإيمان، فالإنسان العاقل لا يخطو خطوة إلا بعد أن يتعرف على ما يترتب عليها من نتائج، وذلك في ضوء

(١) ولجعل الأشخاص يمتازون أيضا بالقدرة على الرؤية العميقة والثاقبة للأشياء فهم يرون أشياء كثيرة في الموقف الواحد لا يراها الآخرون حولهم، حيث يستطيعون أن يروا العوامل المشجعة، والعوامل المثبطة، ويرون القوى الحقيقية المحركة للأمور، ويدركون أيضا الآراء والاتجاهات التي يحاول الآخرون إخفاءها، ويمتازون أيضا بالأصالة الفكرية فهم لا يقلدون الآخرين، أو يسرقون أفكارهم، ولكنهم يستفيدون منها حيث تكون لديهم قدراتهم الشخصية على إنتاج الحلول الجديدة المناسبة. ينظر: مهارات التفكير الابتكاري، د. محمد عبد الغني حسن هلال، ص(٥٤ــ ٥٥)، مرجع سابق.

الموجهات التي يفرضها الدين علي الفرد، ولذلك أثنى الله (ﷻ) على أصحاب العقول ذوي الفكر المستقيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله) في معنى قوله تعالى: (لأولى النهي)، أَيْ: لِذَوِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ، عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ[2].

وقال الإمام النسفي (رحمه الله): (لأُوْلِي النهى) أي: لذوي العقول، تَنهى عن المحظور، أو يُنتهي إليها في الأمور[3].

وقال الإمام البيضاوي (رحمه الله): (لِأُولِي النُّهى): لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح[4].

(١) سورة طه، جزء من الآية رقم ١٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٢٩٩/٥).

(٣) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبى البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (٣٦٩/٢).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لأبى سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن، ط: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (٣٠/٤).

المطلب الرابع
السلام النفسي

النفس الإنسانية فُطرت على الخوف والرجاء، وتتنوع المخاوف، ويتمايز الرجاء، ومن حيث إن بواعث القلق والفزع والخوف تصاحب الإنسان منذ أن يولد، فقد أصبح الخوف ملازماً لحياة الإنسان، بل قد يصل به الحال إلى ما يعرف في علم النفس المعاصر: بالخَوَاف، أو الخوف المرضى(١)، ولذلك فالإنسان دائم البحث عن العلاج الناجع لما يعانيه من الخوف والاضطراب الدائب الذي يلازمه.

ومن هنا فإن (السلام النفسي أو الأمن النفسي: أحد الأبعاد الأساسية في تكوين شخصية الإنسان)(٢).

---

(١) يعرف علماء النفس (الخَوَاف، أو الخوف المرضى) بأنه: شدة الخوف والقلق المسبب لنشوء الأمراض النفسية والعقلية للإنسان، مما يجعل من الصعب الوصول إلى الشخصية المتكاملة المتوافقة نفسيا، ولذلك ظهرت اتجاهات بين بعض علماء النفس تنادي بأهمية الدين في الصحة النفسية في علاج الأمراض النفسية، وترى أن في الإيمان بالله قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة، وتجنبه القلق الذي يتعرض له كثير ممن يعيشون في هذا العصر، الذي يسيطر عليه الاهتمام الكبير بالحياة المادية ويسود التنافس الشديد من أجل الكسب المادي، والذي يفتقر في الوقت نفسه إلى الغذاء الروحي، مما يجعله نهبة للقلق، وعُرضة للإصابة بالأمراض النفسية. ينظر: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص (٣٩٤ــ ٣٩٥)، مرجع سابق.

(٢) ينظر: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، د. محمد عز الدين توفيق، ص ٥١٥، مرجع سابق.

فالإنسان يسعى إلى الاستمرار والمحافظة على التوافق النفسي، لأن ذلك من مقومات الصحة النفسية(١)، حيث تكون نزعات ورغبات وميول الإنسان في توافق وليس بينها تعارض أو تضاد أو تصارع(٢).

وهدف الإنسان هو: أن ينعم بالطمأنينة والسكينة بدلاً من الخوف والشك والقلق(٣).

فالحاجة إلى الأمن النفسي(٤) من أهم الحاجات الضرورية للإنسان، وهى من الحاجات الأساسية اللازمة للنمو النفسي السوي والتوافق النفسي وكذلك الصحة

---

(١) الصحة النفسية للفرد هي: حالة يتكامل فيها شعور الفرد بالكفاية في الجوانب البدنية والنفسية والاجتماعية، أو هي حالة التوافق التام بين الوظائف البدنية والنفسية، والقدرة على مواجهة المواقف والمشاكل التي يواجهها الإنسان في تفاعله مع العالم المحيط به. الشخصية: د. فيصل عباس، ص ١٤٦، مرجع سابق.

(٢) ينظر: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص ٣٨١، مرجع سابق.

(٣) ينظر: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص ٣٩٣، مرجع سابق.

(٤) يشتمل الأمن النفسي على أبعاد أساسية وهى: الشعور بالكفاءة، والقدرة على حل المشكلات، وتحقيق النجاح، وتقبل الذات والتسامح معها، والثقة في النفس، والشعور بالنفع، والفائدة في الحياة، والشعور بالسعادة، والرضا عن النفس، والشعور بالمكانة المرموقة داخل المجتمع، والشعور بالتقبل والحب وعلاقات المودة والرحمة مع الآخرين. ينظر: الأبعاد الأساسية للشخصية، د. أحمد محمد عبد الخالق، ص ٦٩، مرجع سابق.

النفسية للفرد[1]، وهي محرك الفرد لتحقيق أمنه وأمنياته، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بغريزة المحافظة على البقاء.

كما تتضمن الحاجة إلى الأمن: الحاجة إلى شعور الفرد بأنه يعيش في بيئة مشبعة للحاجات، وأن الآخرين يحبونه ويحترمونه ويقبلونه داخل مجتمعه الذي يعيش فيه، وأنه مستقر وآمن أسرياً، ومتوافق اجتماعياً، وأنه آمن وصحيح جسدياً ونفسياً، وأنه يتجنب الخطر ويلتزم الحذر ويتعامل مع الأزمات بحكمة، ويشعر بالثقة والطمأنينة والأمن والأمان ويسهم بذلك في إرساء قواعد السلم والسلام.

كما أن من مظاهر الأمن النفسي[2]: الرغبة في تجنب الألم، والبحث عن الحماية ==

---

(١) إذا اتسمت شخصية الإنسان (بالسلام النفسي) فإنها حينئذ تحسن التكيف مع نفسها، ومع أفراد عائلتها، ومع زملاء المهنة وأفراد المجتمع، وهي تتفاعل في اتزان واعتدال واثقة بنفسها، مؤكدة لذاتها في غير تطرف، موفقة دائما بين دافع الفطرة، وإرادة المجتمع، وبذلك تكون صلاتها طيبة مع الجميع، وقوة احتمالها للشدائد كبيرة، وإنتاجها متصلاً في حدود طاقتها، وسعادتها الداخلية عميقة وبعيدة عن التوتر والقلق، وانفعالها ثابتاً وخاضعاً للعقل. ينظر: علم نفس الشخصية، كامل محمد عويضة، ص ١٠٢، مرجع سابق.

(٢) يرى علماء النفس أنه: يترتب على كون الشخص متمتعا بـ (السلام النفسي)، أن يكون شخصا مبدعاً، بمعني: أنه يملك مجموعة من السمات أو القدرات التي يظهر تأثيرها في سلوكه، كالطلاقة، والمرونة، والقدرة على الإدراك الدقيق للثغرات، والإحساس بالمشكلات، والأصالة في التفكير:.إلخ، ويكون الشخص مبدعاً إذا ظهرت لديه تلك السمات أو بعضها بدرجة كبيرة.فالإبداع هنا: إنشاء أو ابتكار شيء جديد لم يكن موجوداً من قبل سواء كان منتجة صناعية أو تجارية، أو كان عملية أو طريقة جديدة، أو كان فكرة و تصورا مبتكرا...لكنه علاوة على ذلك لا بد أن يتوفر فيه شرط (الجدة=

==والاستقرار[1].

• **معلومٌ أنه لا يمكن أن يتحقق السلام النفسي إلا من خلال نفوس صافية تحكمها ضوابط إيمانية وخلال إنسانية راقية، من أهمها:** أن يكون الإنسان رحيماً، ودوداً، سهلاً، هيناً، ليناً، يألف ويُؤلف، فالمؤمن يألف ويؤلف، والكافر فظ غليظ لا يألف ولا يؤلف، والمؤمن مفتاح للخير مغلاق للشر، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: "إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ"[2]،

وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه)، أن النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[3].

وهذا السلام النفسي يقتضى أن يؤمن كلٌ منا بحق الآخر في الحياة الكريمة الآمنة المستقرة، ويدرك أن هناك قواسم إنسانية مشتركة أجمعت عليها جميع

=أو الأصالة والمنفعة):. إذ إن المنتج الإبداعي لا بد أن يكون فريداً لم يسبق إليه صاحبه، كما أنه يجب أن يحقق المنفعة أو القيمة التي وضع من أجلها وإلا أصبح جهداً ضائعاً وعبثاً فكرياً لا جدوى منه. ينظر: لمحات عامة في التفكير الإبداعي، د. عبد الإله إبراهيم، ص(٢٢ ــ ٣٢)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولي، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.

(١) ينظر: أسس علم النفس، د. عبد الستار إبراهيم، ص٣٩٠، مرجع سابق.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، أَبْوَابُ: السُّنَّةِ، بَابُ: مَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ ١/١٦٠/٢٣٧.وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: الحديث إسناده ضعيف. وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ٣/٥٥٦/٢١٩٥. وابن أبى عاصم في السنة، بَابُ: ذِكْرِ قَوْلِ النَّبِيِّ (ﷺ): مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحُ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقُ لِلشَّرِّ ١/١٢٧/٢٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الإِيمَانِ، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ١/١٢/١٣.

الشرائع السماوية، كما تدعو إليها العقول السديدة والفطر النقية، يؤدى الالتزام بها والوفاء بمتطلباتها إلى أن تسود الطمأنينة والاستقرار والسلام والنفسي والمجتمعي بين الجميع، ومن هذه المشتركات ما يعرف بالوصايا العشر التي وردت في أواخر سورة الأنعام، حيث يقول الحق (ﷻ): ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[1].

ولو نظرنا فيما تضمنته هذه الآيات الكريمات من جوانب إنسانية تعد مشتركاً إنسانياً بين بني البشر جميعاً، لوجدناها تدعو دعوة صريحة إلى بناء صرح الإنسانية الشامخ على قواعد متينة، كما أنها تسهم إسهاماً بالغاً في تحقيق أعلى درجات التعايش السلمي بين الناس قاطبة وتحقق السلام النفسي للجميع، حيث تقوم على حرمة قتل النفس أي نفس وكل نفس، فكل الدماء مصونة، وكل الأعراض محفوظة، (وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) ومال اليتيم والضعيف مرعي ومصون، مع الوصية بالعدل مع القريب والبعيد على حد سواء، والوفاء بعهد الله مع الجميع، المسلم وغير المسلم، الصديق والعدو، وإقامة الكيل والميزان بالقسط، والبعد عن المال الحرام وكل ألوان الاستغلال والتطفيف والغش والخداع، مما يحقق أعلى درجات الحياة الآمنة في كل جوانبها، ويحقق للإنسان سلام النفس فيما بينه وبين نفسه، وبينه وبين مجتمعه، وبينه وبين الإنسانية، بل الكون كله.

(١) سورة الأنعام، الآيات (١٥١ – ١٥٣).

المطلب الخامس
العلاقات الإنسانية العامة

الإنسان اجتماعي بطبعه، يهوى الحياة الاجتماعية، ويأنس بمعاشرة الآخرين، والاختلاط بهم، والتعامل معهم، لذا فإنه لا يستطيع أن يعيش في عزلة عن بني البشر، وفي الواقع فإنه تربطه مع غيره علاقات إنسانية متنوعة. والإنسان مستخدم بطبعه، بمعنى: أنه يعجز عن تلبية كل احتياجاته بنفسه، مما يجعله مفتقراً ومحتاجاً إلى الآخرين في كل شؤون حياته، مما يعني أن الإنسان مسخر لخدمة الإنسان، قال تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴿٣٢﴾﴾[1].

والعلاقات جمع عَلاقة بفتح العين، وورد في لسان العرب: أن عَلِقَ بالشئ: أي تشبث به ولم يكد يفارقه، وعلق به: لزمه واستمسك به[2].

والإنسانية تعني: جميع الصفات التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، وهذا يعني أن (العلاقات الإنسانية) تعبر عن جملة التفاعلات بين الناس سواء كانت إيجابية، مثل: (الاحترام، والعدل، والتسامح، والرفق)، أم سلبية مثل: (التكبر، والظلم، والجور، والقسوة.....إلخ)

وبذلك ينطبق مصطلح العلاقات الإنسانية، بصفة عامة على جميع التفاعلات بين الأفراد في جميع المجالات (الصناعي – التجاري – التعليمي – الاجتماعي ــ إلخ.....)[3].

ويشير مفهوم العلاقات الإنسانية إلى حصيلة الصلات والاتصالات التي تحكم علاقة الفرد بغيره من الناس والمؤسسات التي يتعامل معها وفق قوانين

---

(١) سورة الزخرف، جزء من الآية رقم ٣٢.

(٢) ينظر:لسان العرب، لابن منظور ٦٠٨/١، مرجع سابق.

(٣) ينظر: العلاقات الإنسانية، د. سيد عبد الحميد مرسي، ص ١١، مكتبة وهبة، الطبعة الأولي، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م.

المجتمع ومعاييره الاجتماعية وذلك من خلال مؤسسات المجتمع المختلفة كالأسرة وغيرها(١).

وتطلق العلاقات الإنسانية أيضاً على: المعاملة الطيبة التي تقوم على الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية السوية التي تستمد مبادئها من تعاليم الأديان السماوية وترتكز على التبصر والإقناع والتشويق القائم على الحقائق المدعمة بالأسانيد العلمية وتجافي التضليل والخداع بكافة مظاهره و أساليبه(٢).

ويُعد وجود علاقات تفاعليّة بين البشر ضرورة من ضرورات الحياة والتواصل بينهم، بِغَض النظر عن جنسهم أو لونهم أو معتقداتهم، وهذا النمط من العلاقات يحتاجه البشر في حياتهم اليوميّة، حيث إن حاجات الإنسان في كثير من الأحيان متعلّقة ومرهونة بما عند غيره من البشر.

ولذلك اعتبر علماء النفس (العلاقات الإنسانية العامة) أحد الأبعاد الأساسية في تكوين شخصية الإنسان(٣).

وعلاقات الإنسان بغيره تنتظم ضمن عدة محدّدات: كالدين، والأخلاق، والمبادئ، والقيم، والعادات، وهو ما يسميه علماء النفس بـــ (الإدراك الاجتماعي)(٤)، وخير العلاقات: تلك التي تتحرر من جعل المصالح الذاتيّة محورها الأساسي(٥).

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٣١.

(٢) ينظر: العلاقات الإنسانية، د. سيد عبد الحميد مرسي، ص ٤٢، مرجع سابق.

(٣) ينظر: الشخصية، د. فيصل عباس، ص ١٢٠، مرجع سابق.

(٤) يقصد بـــ (الإدراك الاجتماعي): العلاقات بين الأفراد وما يربط بها من قـــيم. مـــدخل لدراسة السلوك الإنساني: د. جابر عبد الحميد، ص ٣٩٨، مرجع سابق.

(٥) ينظر: أسس علم النفس، د. عبد الستار إبراهيم، ص ١٨٤، مرجع سابق.

فالفرد لا يعتبر وحيداً ولذلك يجب أن يكون عضواً فاعلاً في المجتمع حتى يتمتع بالتوافق الاجتماعي[1] بين أفراد مجتمعه لأنه بحاجة دائماً إلى أن يكون موضع قبول و تقدير واعتبار واحترام من الآخرين، وإلى أن تكون له مكانة اجتماعية، وأن يكون بمنأى من استهجان المجتمع أو نبذه.

فليس هناك ما يذهب بطمأنينة الفرد مثل شعوره بأنه مكروه أو منبوذ من مجتمعه، وهي حاجة يرضيها: شعور الفرد بأن له قيمة اجتماعية، وأن وجوده وجهوده لازمان للآخرين[2].

ومما سبق نخلص إلى أنه إذا كان الحديث عن العلاقات الإنسانية بصفة عامة كبعد رئيس من أبعاد شخصية الإنسان، فإن الإسلام يحرص على إقامة علاقات إنسانيّة بين البشر على أساس من العدل والرحمة والحكمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[3]، فالغاية من التنوُّع في خلق الشعوب والقبائل هي: تحقيق التعارف بين البشر، ومتى تمّ هذا فإنّه ينتج عنه علاقات تقوم على أواصر المحبّة والأخوّة والقيم، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ)، قال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[4]، فالحديث يوضح شكل

---

(١) يقصد بـ (التوافق الاجتماعي): تَمَتُّع الفرد بعلاقات اجتماعية حميمة تتصف بالاحترام والتقدير والعطاء المتبادل والتي تشبع حاجاته الاجتماعية، و مشاركته في الأنشطة الاجتماعية، وتقبله لعادات وتقاليد وقيم وأفكار وقوانين وأنظمة مجتمعه. المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي: د. نبيل صالح سفيان، ص١٥٥، مرجع سابق.

(٢) ينظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص٨١، مرجع سابق.

(٣) سورة الحجرات، الآية رقم ١٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ: تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ ٤/١٩٩٩/٢٥٨٦.

العلاقات التي يجب أن تكون بين من تجمعهم أواصر الإيمان والتقوى، وهذا تشبيه يعبّر عن قوّة الترابط بينهم.

وعن أبى ذر الغفاري (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)(١), وهو معيار أصيل في كيفيّة التعامل بين البشر حتى مع من يُسيء.

وعندما تقوم العلاقات البشريّة على أسس سليمة من الدين والقيم والمبادئ والعادات والتقاليد، فإنّها تؤدي حتماً إلى التماسك والترابط بين البشر، وتقوي دعائم الاستقرار، وتبعث على النهوض والتقدم والازدهار في شتّى ميادين الحياة، وتعطي صورة حضارية رفيعة للعلاقات البشرية المنضبطة الموزونة، وبخلاف ذلك تكون النتيجة مأساويّة على البشر، حيث تعمّ الفوضى، وتسيطر الأنانيّة والطمع على علاقات البشر، فتكثر النزاعات ويعمّ الشقاق.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أَبْوَابُ: البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، بَابُ: مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ ٣/٤٢٣/١٩٨٧. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه الدارمي في مسنده، باب: فِي حُسْنِ الْخُلُقِ ٢/٩٢٥/٢٨٢٠.

المطلب السادس
الإيجابية

يهتم علم النفس بالدراسة العلمية التي تحقق السعادة للإنسان، ويسعى أيضا إلى تعزيز القدرات الشخصية المتعددة، كالصمود(١)، والتفكير الإيجابي(٢)، وغيرهما(٣)، ويسعى إلى تدريب الأفراد على مواجهة الضغوطات النفسية(٤)عند التعرض لها، وبذلك يكون سلوك الفرد سلوكاً إيجابياً(٥).

وقد أصبح تركيز الدراسات النفسية على مراكز القوة في نفسية الإنسان كالطمأنينة، والأمل، والسعادة، والتقدير الاجتماعي، والقناعة، والاستقرار

---

(١) يقصد بـ (الصمود): معاودة الكفاح والتغلب على الضعف بعد الإخفاق. ينظر: معجم علم النفس والتربية، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، ص ٣٦، مرجع سابق.

(٢) يقصد بـ (التفكير الإيجابي): التفاؤل وتوكيد الذات والوضوح والقدرة على حل المشكلات واتخاذ القرار السليم والتخطيط للمستقبل مما ينعكس على الشخص الإيجابي بحالة من الطمأنينة الروحية. ينظر: دراسات في أساليب التفكير، د. مجدي عبد الكريم حبيب، ص (١٩٦ـ ١٩٧)، مرجع سابق.

(٣) لمزيد من التفصيل، ينظر: أسس علم النفس، د. عبد الستار إبراهيم، ص ٣٦٧، مرجع سابق.

(٤) (الضغط النفسي): هو واحد من أكثر الاضطرابات النفسية شيوعاً بجانب اضطرابات أخرى مثل: القلق والمخاوف المرضية. لمزيد من التفصيل عن الضغوطات النفسية التي قد يتعرض لها الإنسان، والتي تؤثر على شخصيته بالسلب. ينظر:علم نفس الشخصية، كامل محمد عويضة، ص (١٣٥ـ ١٣٨)، مرجع سابق.

(٥) (السلوك الإيجابي): هو سلوك يتم بالموافقة والتقبل لشخص أو شيء أو موقف ما. معجم علم النفس والتربية: مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، ص ٢٠، مرجع سابق.

النفسي، وذلك بهدف التغلب على الضغوطات التي تؤدي إلى اضطرابات بالصحة النفسية[١]،هذه الاضطرابات قد تؤدي إلى اضطراب السلوك[٢]،

وضياع الشخصية[٣]، وفي هذه الحالة تتصف شخصية الفرد بالسلبية بدلاً من الإيجابية[٤]، ولذلك اعتبر علماء النفس (الإيجابية) أحد أبعاد الشخصية[٥]، وتعنى: التركيز على مكامن القوة والجوانب التي تحسن من نفسية الإنسان وتفكيره، وذلك برفع مستوى السعادة والطمأنينة والتفاؤل، وتعميق الشعور بالثقة، وتحسين الاستقرار النفسي، وتعزيز الأمل بالله تعالي، والإحساس بالتقدير الاجتماعي، والرغبة الحقيقية في إصلاح الذات وإصلاح المجتمع، والقدرة على التفاعل الجيد مع الآخرين[٦].

---

(١) يهتم علم النفس كذلك بالجوانب السلبية لدى الإنسان مثل القلق والاكتئاب والمخاوف والانحراف والمرض:. إلخ، لكنه يركز أكثر على الجوانب الإيجابية لدى الإنسان مثل: التفاؤل، والثقة بالنفس، والأمل، والتفكير الإيجابي، والتدين، والرضا عن الحياة. ينظر: الشخصية، د. فيصل عباس، ص ١٤٦، مرجع سابق.

(٢) يقصد بـ (اضطراب السلوك): شذوذ في السلوك لا يرتبط بسبب أو عرض عضوى، ويطلق على أنواع الشذوذ التي تؤدي إلى عدم توافق الفرد و خاصة في الجانب الاجتماعي. معجم علم النفس والتربية: مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، ص ٤٦، مرجع سابق.

(٣) يقصد بـ (ضياع الشخصية): حالة يفقد فيه الشخص إحساسه بحقيقة وجوده، ويرقب تصرفاته الذاتية وتصرفات الآخرين بتباعد ولا مبالاة. ينظر: معجم علم النفس والتربية، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، ص ٤٣، مرجع سابق.

(٤) ينظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص٤، مرجع سابق.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص ٤.

(٦) أثبتت البحوث أن أصحاب الشخصية الإيجابية يحصلون على قدر لا يستهان به من الشعور الذاتي بالرضا، من خلال أداء العمل، واستخدام المهارات، وتحقيق الإحساس بالإنجاز والنجاح الناتج عن إكمال العمل، والنظرة الإيجابية للوقت، واستخدام الوقت بنجاح، والدقة والكفاءة، والثقة واحترام الذات. ينظر: أسس علم النفس، د. عبد الستار إبراهيم، ص ٣٩١، مرجع سابق.

وتتسم الشخصية الإيجابية بالعديد من السمات[1]، منها:

أولا: الاستبصار بالذات، بمعني أن الشخص الإيجابي يستبصر بجوانبه الإيجابية ونقاط القوة لديه ويستثمرها أفضل استثمار، ويستبصر بجوانبه السلبية ونقاط الضعف لدية ويحاول التخلص منها، كما يحاول أن يحول السلبيات إلى إيجابيات.

ثانيا: القدرة على التحكم في الذات، فالشخص الإيجابي يتسم بالضبط، والثبات لاسيما في مواجهة المشكلات والضغوط.

ثالثا: التمسك بالأمل، فمن سمات الشخص الإيجابي أنه لا ييأس لاسيما في مواقف الإحباط والفشل وإنما دائماً يتمسك بالأمل.

رابعا: الشعور بالمسئولية، فالشخص الإيجابي لديه الشعور بالمسئولية تجاه ربه ودينه ونفسه وأسرته ووطنه ومجتمعه وأمته وسائر عمله.

خامسا: القدرة على العطاء، حيث يتسم الشخص الإيجابي بأنه معطاء، يعطى من وقته وماله وصحته، وليس شرطا أن ينتظر مقابلاً لذلك العطاء.

سادسا: الثقة بالنفس، فالشخص الإيجابي أيضا يثق في قدراته، ولذا يقدم على العطاء والإنجاز.

سابعا: التطوير المتواصل، حيث إن الشخص الإيجابي يستطيع أن يحول الفشل ويجعله طريقاً للنجاح، ويجعل من الرفض طريقًا للتقبل، معتمداً على معالجة جوانب الضعف والتركيز على نقاط القوة.

ونخلص مما سبق بأن الإيجابية تحمل معاني التجاوب، والتفاعل، والعطاء. والشخص الإيجابي: هو الفرد الحي المتحرك المتفاعل مع الوسط الذي يعيش

---

(١) ينظر: الشخصية في ضوء علم النفس، د. محمد محمـــود الجبـــوري، ص (١٦ــ١٧)، مرجع سابق.

فيه، والإيجابية تعني الاستجابة والتلبية, والطاعة والمسارعة إلى الخير, قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(١).

فالقرآن الكريم يدعو إلى الإيجابية وينهى عن السلبية: إيجابية التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾(٢).

فهو يدعو إلى: أن يكون المجتمع مجتمعاً مثالياً يتعاون الجميع في رقيه والنهوض به، ولا يكون ذلك إلا بالبر والتقوى.

ويدعو أيضا إلى: إيجابية التفاعل الاجتماعي بمعني: أن يكون المسلم عضواً فعالاً في بيئته، فهو يتحسس الفقراء والمساكين، ويحنو على اليتامى، ويصلح بين أفراد المجتمع، ويزيل الشحناء والبغضاء، ويجود بماله ووقته من أجل أن يعيش غيره في سعادة وهناء، يقوم بذلك كله لوجه الله تعالى ودون انتظار مكافأة من غيره سبحانه، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾(٣).

ومن أقوى المشاعر الإيجابية: أن يتربى المسلم على الإيمان بأن المسلمين جميعاً إخوة له، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(٤).

ومن مظاهر الإيجابية أيضاً في القرآن الكريم: أن يعمل المسلم ولا يكون كَلاً على غيره أو عالةً على مجتمعه، فالإسلام يدعونا للنشاط والحيوية وحب

(١) سورة الأنفال، جزء من الآية رقم ٢٤.
(٢) سورة المائدة، جزء من الآية رقم ٢.
(٣) سورة النساء، الآية رقم ١١٤.
(٤) سورة الحجرات، الآية رقم ١٠.

العمل، يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

وفي هذا المعنى، ما رواه الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ (رضي الله عنه)، أن النبي (ﷺ) قال: "لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ"[2].

فالإسلام حريص على عزة المسلم ورفعته وغرس الفضائل في نفسه.

(١) سورة الجمعة، الآية رقم ١٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، بَابُ: الِاسْتِعْفَافِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ ١٤٧١/١٢٣/٢.

المبحث الثاني

المقاصد[1] الشرعية لبناء الإنسان

المطلب الأول

البناء العقدي للإنسان

إن العقيدة هي قضية الإنسان الكبرى ومسألته الأساسية في هذه الحياة، لأنها تجيبه عن سر وجوده في هذا الكون، وتكشف له عن خالقه وخالق المخلوقات من حوله، وتحدد له علاقته بهذا الخالق وبالكون كله والوجود بأسره، وتبين له مصيره ونهايته وجزاءه.

فالعقيدة السليمة هي اللبنة الأساسية في بناء شخصية المسلم على مستوى الفكر والسلوك، وهي العنصر الفعّال المحرك لعواطفه والموجه لإرادته.

---

(١) المقاصد جمع مقصد، والمصدر: قصد، والقصد: إتيان الشئ. يقال: قصدت الشيء وله وإليه قصداً:طلبته بعينه، وإليه قصَدي ومقصَدي بفتح الصاد، واسم المكان بكسرها نحو مقصِد، وقصدت قصده أي نحوه، وقصد في الأمر قصداً: توسط وطلب الأسَدَّ ولم يجاوز الحد، وهو على قصد: أي رشد، وطريق قصد: أي سهل. والْقَصْد: اسْتقامة الطَّرِيقَة. ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها، ومقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها. ينظر: المصباح المنير، لأبى العباس أحمد بن محمد الفيومي (٢ /٥٠٤)، مرجع سابق.، معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر "بمساعدة فريق عمل"، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (١٨٢٠/٣)، تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الهروي، تحقيق: محمد عوض، ط: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، (٢٧٤/٨).، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٥٢٤/٢)، مرجع سابق.

ولهذا ركزت عقيدة التوحيد في بنائها للإنسان على البناء الفكري، لتبلغ به ذروة الكمال الإنساني وترتقي به نحو السعادة المنشودة.

فقد اتبعت عقيدة التوحيد في بنائها للفكر الإنساني منهجاً سديداً يتحدد في خطوات متتالية، **فأول خطوة بدأت بها في سبيل هذا البناء، هي:** تحرير العقل الإنساني من كل الأوهام والخرافات التي علقت به مع مرور السنين والأعوام، وتفريغه من كل أمر لم يقم على يقين ولم يستند إلى دليل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[1].

فقد أخرجت العقيدة الإسلامية الإنسان من عالم الخرافات والجهل لتأخذ بيده إلى دنيا العلم والنور، محفّزة الطاقات الكامنة فيه للتأمل والاعتبار بآيات اللّه ودلائله.

• **ثم تأتي الخطوة الثانية** فتوجه العقل إلى منهج التثبت من كل أمر قبل الاعتقاد والتسليم به، وعدم الاعتماد على الظنون في بناء الحقائق والمعتقدات، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾[2]، فالمنهج العلمي ينافي اقتفاء الأمور بلا علم ولا تثبت، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾[3].

لقد حذر القرآن الكريم من تعطيل حواس الإنسان الظاهرة والباطنة وعدم استخدامها في اكتساب العلوم والمعارف، وبيّن تحسر أهل النار وندامتهم إذ

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم ١٧٠.

(٢) سورة النجم، الآية رقم ٢٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية رقم ٣٦.

أهملوا أسماعهم وعقولهم في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

- **وتتلخص الخطوة الثالثة في:** دفع العقل إلى البحث والتفكير وحثه على التأمل والتدبر في ملكوت الله (ﷻ)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[2].

وبهذا النظر وبذلك التفكر في مخلوقات الله (ﷻ)، يتجه العقل البشري إلى الإيمان اليقيني القائم على البراهين القاطعة والاستدلالات المنطقية، قال تعالى على لسان عباده الذين آمنوا بعد تفكر وتأمل في ملكوته: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[3].

ففكر المسلم الذي تبنيه عقيدة التوحيد هو فكر ممنهج مستقيم يسير على هدى ونور من ربه (ﷻ)، فِكْرٌ تحرر من كل الأوهام والخرافات الهدامة، وابتعد كل البعد عن الزيغ والضلال، والانحراف والشطط، فغدا أفق المسلم واسعاً ونظره ثاقباً وهدفه واضحاً.

---

(١) سورة الملك، الآية رقم ١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٦٤.

(٣) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ١٩١.

إنَّ النفس التي لم تعرف توحيد الله (ﷻ)، ولم تذق حلاوة الإيمان والتصديق، تعيش تائهة حائرة، يائسة قانطة، مضطربة متوترة، تفزع[1] للمصائب

(١) (تفزع) أي: تخوف، و(الفزع) بالفتح: الذعر والخوف "وهو الأصل". وهو: انقباض ونفَار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، و (الفزع) بكسر الزاي: الخائف المذعور. ينظر: معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا، ط: دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م، (٤/٤٠٧).

وتجزع[١] للنوائب، وتبطر[٢] الخير والنعمة، وتغمط[٣] الناس حقهم وفضلهم.

فحقيقة التوحيد هي: (الاعتراف بوجود الله الواحد الأحد، الذي لا شيء غيره معه، وليس كمثله شيء، ولا حقيقة لوجودٍ إلا وجوده، ولا حقيقة لفاعليةٍ إلا فاعليته، ولا أثر لإرادةٍ إلا إرادته، ولا توجه حقيقي في الرغبة والرهبة، في السراء والضراء، في النعماء والبأساء إلا إليه) [٤].

ولقد أخبرنا القرآن الكريم عن حقيقة النفس الإنسانية وكشف لنا عن خفاياها وخباياها في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾[٦].

---

(١) يقال: (تجزع) الشَّيْء تقطع، و(جزع) جزعا وجزوعا: لم يصبر على مَا نزل بِهِ. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ١٢١/١، مرجع سابق.

(٢) يقال (تبطَّرَ الغنيُّ): بطِر، استخفّ النّعمة وكفر بها ولم يشكر ربّه عليها. و(البَطَرُ): قِلَّةُ احتمالِ النِّعْمة. معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر ٢٦١/١، مرجع سابق.، المُنَجَّد في اللغة: لأبي الحسن علي بن الحسن الأزدي، تحقيق: د.أحمد مختار عمر، د. ضاحي عبد الباقي، ط: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، (١٤١/١).

(٣) (الغمط) الاستهانة والاستحقار. و(غَمَطَ النِّعْمَةَ): احْتَقَرَهَا. وَ (غَمْطُ النَّاسِ) الِاحْتِقَارُ لَهُمْ وَالِازْدِرَاءُ بِهِمْ. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار:جمال الدين، محمد طاهر بن علي الهندي ٦٥/٤، مرجع سابق.، مختار الصحاح: لأبى عبد الله زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت ــ صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م، (٢٣٠/١).

(٤) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها: على أحمد مدكور، ص ٢٦، ط: دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٥) سورة المعارج، الآية رقم ١٩.

(٦) سورة الإسراء، الآية رقم ٨٣.

ولهذا، فإنَّ منهج عقيدة التوحيد في بناء النفس الإنسانية يقوم على تعريف الإنسان بحقيقة نفسه وطبيعتها وماهيتها، ثم بالإجابة على الأسئلة الكبرى الملحة عندها والتي تجعلها تعيش في قلق وحيرة تجاهها، وهي: من الذي أوجدني؟ وما هي الغاية التي لأجلها وُجدت في هذا الكون؟ وإلى أين المصير؟ وما هي النهاية؟

فالله (ﷻ) هو الذي أوجد الإنسان من عدم، وصَوَّره على غير مثال سبق، وخلقه في أحسن صورة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[1]، خلقه من طين ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته (سجود تحية وتكرمة لا سجود صلاة وعبادة)[2]، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾[3].

(فالإنسان مخلوق لله (ﷻ)، وقد ميزه عن غيره من المخلوقات الأخرى في تكوينه وفي منزلته الرفيعة وفي المسئولية التي يتحملها أمام الخالق الذي خلقه على هيئة تجمع بين المادة والروح)[4].

وغاية المسلم في الحياة هي عبادة الله (ﷻ) وتوحيده وامتثال أمره، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[5]، يقول الشيخ الشنقيطي (رحمه الله)

---

(١) سورة التين، الآية رقم ٤.

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: عدد من الباحثين، ط: دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م، (١٥/٤٦٥).

(٣) سورة ص، الآيات (٧١ــ ٧٢).

(٤) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد، ص ١٤، بتصرف يسير، ط: دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

(٥) سورة الذاريات، الآية رقم ٥٦.

معلقاً علي هذه الآية الكريمة: وقد بيَّن تعالى أن الحكمةً التي خُلق الخلق من أجلها هي: أن يَبْتَلِيهُم أي: يختبرهم: ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[1]، وقال تعالي في أول سورة هود: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2] ولم يقل: أيكم أكثر عملاً، وقال تعالي في سورة الملك: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[3] وهاتان الآيتان تبينان المراد[4] من قوله تعالي: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[5]، فينبغي أن يبنى العمل على أساس العقيدة الصحيحة التي يؤمن صاحبها بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله دون التفريق بين أحد منهم، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[6]، كما يؤمن أيضاً بالبعث والجزاء.

هذا إلى جانب استخلاف الإنسان وعمارته للأرض، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[7]، (فالإنسان – خليفة الله في الأرض – مكلف بعمارتها،

---

(١) سورة الكهف، جزء من الآية رقم٧.

(٢) سورة هود، جزء من الآية رقم٧.

(٣) سورة الملك، الآية رقم ٢.

(٤) الإسلام دين كامل (ضمن «المحاضرات» المطبوعة بـ «بآثار الشنقيطي»): محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ص (١١ــ ١٢)، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي – جدة، ط: عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

(٥) سورة الذاريات، الآية رقم ٥٦.

(٦) سورة البقرة، الآية رقم ٢٨٥.

(٧) سورة هود، جزء من الآية رقم٦١.

ولا تقوم عمارة الأرض إلا على مبادئ سامية وأُسس تربوية سليمة وجليلة تُمَكن المسلم من أداء هذه المهمة في أكمل صورة مستمداً هذه المبادئ من القرآن الكريم والسنة المطهرة)[1].

وبعد ذلك تنتهي حياة الإنسان ويرجع إلى ربه ليحاسبه على ما قدم من عمل، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [2].

وحين تظفر هذه النفس بالجواب الصحيح على تلك الأسئلة الملحة يتضح للإنسان تصوره لنفسه وللحياة وللكون من حوله، وتتضح له معالم الطريق الذي يجب أن يسلكه ويسير فيه بجلاء بيّن، فتهدأ نفسه وتطمئن، وتعيش في سكينة واستقرار بعيداً عن الحيرة القاتلة.

إذاً (فالعقيدة الإسلامية حددت للناس غايتهم في الحياة، ووضحت لهم طريقة العمل للوصول إلى تلك الغاية، ووضعت لهم الوسائل التي تكفل لهم سعادتهم في دنياهم وأُخْرَاهم، وهذا القدر ينبغي ألا يعزب عن عقل أي فرد ينتمي إلى الأمة الإسلامية)[3].

وطريقة العمل للوصول إلى تلك الغاية هي: اتباع ما جاء به نبينا محمد (ﷺ)قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[4].

---

(١) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد، ص ١٤بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٢) سورة الزمر، جزء من الآية رقم٧.

(٣) قواعد البناء في المجتمع الإسلامي: د. محمد السيد الوكيل، ص ٢١، ط: دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

(٤) سورة آل عمران، الآية رقم ٣١.

والوسائل التي تكفل للناس سعادتهم الدنيوية والأخروية هي: ما فرضه الله تعالي عليهم من أنواع العبادات والتشريعات، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾(١) (وبذلك فإن الدين الإسلامي بتصوره الشامل هو الإطار المرجعي للإنسان المسلم)(٢).

كما تعمل عقيدة التوحيد على تزكية النفس وتطهيرها من كل ما يشوبها ويفسدها، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾(٣).

إن للنفس التي عرفت التوحيد والإيمان، سمات وخصائص تميزها، منها:

أولا: تحرّر صاحبها من العبودية لغير الله تعالى: وفي ذلك حريةٌ من عبادة أيّ مادة دونية، فحريٌ بالإنسان أن يسعى لهذه المرتبة العظيمة في حياته، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾(٤).

ثانيا: الأمن والاطمئنان: فالنفس التي أشرق في عمقها نور الإيمان واستقرت في أعماقها حقيقة التوحيد تكون آمنة مطمئنة نتيجةً لتحقّق العبودية لله تعالى وحده (وقد قام الإسلام في كل بنائه على حماية الإنسان من الخوف والفزع والاضطراب، ويحقق الإسلام للمسلمين الأمن والسكينة والطمأنينة عن طريق عقيدة الإيمان التي تجعل النفس الإنسانية وحدة متآلفة متسقة تواجه مصادر الفزع بثبات)(٥)، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(٦).

---

(١) سورة يوسف، جزء من الآية رقم ١٠٨.

(٢) ينظر: مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها: على أحمد مدكور، ص ٢٣، مرجع سابق.

(٣) سورة الشمس، الآيات (٧ ــ ١٠).

(٤) سورة القصص، الآية رقم ٧٠.

(٥) السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د إسماعيل الفقي، ص ٣٩٣، مرجع سابق.

(٦) سورة الأنعام، الآية رقم ٨٢.

ثالثا: الرضا والثبات: إن النفس المؤمنة نفس راضية عن ربها في كل الأحوال والظروف، لذلك استحقت رضا الله (ﷻ) عنها، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[1]. وهذه النفس ثابتة مستقيمة تسير على خط واحد في اليُسر والعُسر، شاكرة في السراء وصابرة في الضراء، فعَنْ صُهَيْبٍ، عن النبي (ﷺ) أنه قال: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[2].

رابعا: الهداية والتوفيق: إن النفس التي تسلك صراط الله المستقيم تنال الهداية والتوفيق الإلهي، والحماية والحفظ من كيد الشيطان وشركه، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[3].

خامسا: غرس معاني التوكّل على الله في نفس الإنسان: فإنّ تحقيق التوحيد في القلب يُخضع الإنسان للاستسلام والانقياد لله تعالى، وحُسن التوكّل عليه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[4].

إن أول ما يتطلبه الإسلام من المسلم (أن يكون مؤمناً بالله حق الإيمان، وثيق الصلة به، دائم الذكر له والتوكل عليه، يستمد منه العون مع أخذه بالأسباب،

---

(١) سورة البينة، جزء من الآية رقم ٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ: الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ٤/٢٢٩٥/٢٩٩٩.

(٣) سورة المائدة، الآيات (١٥ ــ ١٦).

(٤) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ١٢٢.

ويحس في أعماقه أنه بحاجة دائماً إلى قوة الله وعونه وتأييده، مهما بذل من جهد، ومهما اتخذ من أسباب)[1].

ولقد اقتضت حكمة الخالق تعالى أن يرشد الإنسان إلى الجذور والأصول التي يستقي منها معارفه وينهل منها حقائق هذا الوجود، وهي: (القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة**)** ليصل من خلالهما إلى المعتقدات الصحيحة السليمة من الشوائب والبعيدة عن الانحراف، بعد أن منحه تعالى الفطرة الصافية مشعلاً يهديه إلى النور، نور العقيدة الإسلامية الحقة.

ومتى ما حكّم الإنسان عقله يرى أنّ العقيدة الإسلامية تشكّل نظاما متكاملاً للحياة البشرية بمختلف أطوارها ويرسم الطريق لكلٍّ جوانبها وينسجم مع الفطرة الإنسانية ويضمن تحقق حاجات الفرد الروحية ورغباته المادية بشكل متوازن ودقيق، وبما يضمن كرامته وشخصيته.

وعلى قواعد هذه العقيدة يقوم بناء شخصية الفرد، وتنتظم العلائق والروابط، وتتحدد الحقوق والواجبات، وينشأ التكافل والتضامن.

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة: د. محمد علي الهاشمي، ص ١٣، دار البشائر الإسلامية، دمشق، الطبعة العاشرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

المطلب الثاني
البناء التعبدي للإنسان

توطئة:ـ

للعبادةِ في الإسلام مكانةٌ رفيعةٌ، ومنزلةٌ عاليةٌ، فالعبادات تسمو بالروح وتطهر النفس، والمداومة عليها تعطي الروح وقوداً وزاداً ودفعاً قويًّا إلى القيام بما تؤمر به.

والعبادات التي تسمو بالروح وتطهر النفس نوعان: الأول: العبادات المفروضة كالطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغيرها.

والنوع الثاني: العبادات بمعناها الواسع، ويشمل كل شيء يُتَقَربُ به إلى الله تعالى فهى عبادة يثاب صاحبها، وتربى روحه تربية حسنة(١).

إن تزكية الروح بالصلاة وتلاوة القرآن, وذكر الله تعالى, والتسبيح له سبحانه أمر مهم في الإسلام، فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر من أدرانها وتتصل بخالقها لا تقوم بالتكاليف الشرعية الملقاة عليها، والعبادة والمداومة عليها تعطي الروح زاداً وغذاءً وكسوةً ودواءً.

كما يترتّب على الالتزام بالعبادات التي أمر الله تعالي بها، وأدائها على الوجه المطلوب العديد من الثمرات والآثار التي تعود على الفرد، كما تسهم العبادات في نماء المجتمعات، فهي تُعدّ المعنى الأكثر سُمواً في حياة الإنسان، وهي تمثّل الغاية من وجوده، وتنشر الفضيلة والخير بين الناس، ممّا يؤدي بالإنسان إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) ينظر: عقد الجمان في بيان شعب الإيمان، لأبى الفيض الزَّبيدي، ص ٨، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

وسوف أقتصر في هذا المطلب علي إلقاء الضوء على الجانب التعبدي الخاص بأركان الإسلام الخمسة كنماذج وأنماط لما وراءها، وهي علي النحو الآتي:

أولا: الشهادتان

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة وقد ذكر النبي (ﷺ) هذه الأركان مجتمعة في حديثين صحيحين.

الحديث الأول: جاء فيه أن جبريل (عليه السلام) لما جاء للنبي (ﷺ) في صورة رجل ــ قال ــ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا....»(١).

والحديث الثاني: ما روي عَنِ ابْنِ عُمَرَ، (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ)، قال: " بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " (٢)

وشهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، تنقسم إلى شقين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر.

الشق الأول: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وتشتمل على حق الله تعالى الذي هو إفرادُه في العبادة(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ: معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ١/٣٦/٨. بسنده عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، جزءا من حديث طويل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الإِيمَانِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ (ﷺ): «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ» ١/١١/٨. ومسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ قول النَّبِيِّ (ﷺ) بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ١/٤٥/١٦.

(٣) ينظر: الإسلام دين كامل (ضمن «المحاضرات» المطبوعة بـ «بآثار الشنقيطي»)، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ص٩، مرجع سابق.

والشق الثاني: شهادة أن محمداً رسول الله، وتشتمل على حق النبي (ﷺ) الذي هو إفراده في الاتباع، قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾(١).

(وهذه العبارة الخالصة ــ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ــ تدعو النفس الإنسانية إلى الخضوع لله، والسعي إلى ضمان طاعته، وتلوذ من الشرور والآثام نحو عفوه ورحمته فتكتسب الهدوء النفسي والرضا والطمأنينة والسكينة، وفي هذا ما يحفز على العمل الدائب والسلوك المتوافق)(٢).

وأما معنى أشهد أن لا إله إلاّ الله، أي: أعتقد بقلبي وأُقر بلساني وأبرهن بجوارحي أنْ لا معبود بحقّ إلا الله تعالى، فمعنى إله: أي معبود، فيكون المعنى لا معبود بحقّ إلاّ الله (ﷻ) الذي عُبد بالحق وحده لا شريك له، لأنه هو الخالق الرزاق المالك المدبر لشؤون خلقه(٣)،قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾(٤).

فالشهادتان هما أصل كل شيء للمسلم فهما مجمل الإيمان, نطق باللسان وإقرار وتصديق بالقلب، فبدونهما لا يصح أي عمل للمسلم ولا يؤجر عليه أبدا، فلا تصح صلاة ولا يصح صوم ولا تصح أي عبادة بدون تحقيق أصل الإيمان المتمثل في الشهادتين.

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٨٠.

(٢) السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص٣٨٤ بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٣) العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع: محمود السيد شيخون، ص ٣، ط: الجامعة الإسلامية، السنة العاشرة، العدد الأول، (جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ/مايو – يونيه ١٩٧٧ م).

(٤) سورة الحج، الآية رقم ٦٢.

ثانيا: الصلاة

الصّلاة في الإسلام لها فضل كبير، والمحافظة عليها في وقتها من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، والصّلاة سبب في استقامة المسلم على أوامر الله تعالى، حيث تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾(١).

كما أن الصّلاة تُعد أفضل الأعمال عند الله – تعالى– بعد الشهادتين. يقول الشيخ الشنقيطي (رحمه الله): (وأما الصلاة فهي أعظم دعائم الإسلام بعد الشهادتين، وقد فرضها الله على نبيه فوق سبع سماوات ليلة الإسراء والمعراج، وقد جعلها دون غيرها من الأركان يتكرر رجوعها في كل يوم وليلة خمس مرات لعظم شأنها، لأن المصلي يقوم في اليوم والليلة خمس مرات يناجي خالق السموات والأرض، ومناجاته (ﷻ) تستلزم أقوالاً وأفعالاً لائقة بذلك المقام، ولذلك علّمه الله (ﷻ) أعظم سورة من كتابه وهي (الفاتحة) التي هي السبع المثاني والقرآن العظيم، وعلَّمه فيها كيف يناجي خالق السموات والأرض بما هو لائق به)(٢).

والمحافظة على أداء الصّلاة سبب في غسل الخطايا وتكفير السّيئات، فعَنْ جَابِرِ بنُ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) أن النبي الله (ﷺ) قال: (مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ، غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ)(٣).

---

(١) سورة العنكبوت، جزء من الآية رقم ٤٥.

(٢) منهج التشريع الإسلامي وحكمته (ضمن «المحاضرات» المطبوعة بـ «بآثار الشنقيطي»): محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ص١٠، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي – جدة، ط: عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ: الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا، وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ ١/٤٦٣/٦٦٨.

وجعل الله تعالى الصّلاة سبباً في مغفرة الذّنوب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) أن النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ»[1]

والصلاة (تسهم في حماية العبد من الأمراض التي تفتك به وتعوقه عن العمل لدنياه وأُخراه لما فيها من الحث على النظافة، فقد جعل الإسلام مفتاحها طهارة البدن والثوب والمكان)[2].

كما أن الصلاة (تَعُود على البدن بنفع عظيم، فهي تقوى الجسد وتسبب اليقظة المبكرة والنشاط لجميع الجوارح، فالجسم في الصلاة يعمل قائماً وقاعداً وراكعاً، واللسان يعمل قارئاً مكبراً مسبحاً مهللاً، والعقل يعمل متدبراً متفكراً فيما يتلى عليه من القرآن، والقلب يعمل مستحضراً رقابة الله تعالى، وخشيته، والشوق إليه)[3].

فالصلاة من أسباب استقامة الفرد في سائر تحركاته، فَتُقَوم أخلاقه وتُنير القلب والروح، كيف لا وهي مرتبطة بالبر والإخلاص، والشكر والأمن، والرزق والطهارة، وبها يشعر الإنسان بعظمة الله تعالى ومراقبته له، وستره وإحاطته.

ثالثا: الزكاة.

الزكاة في الإسلام: مالٌ مقدرٌ فرضه الله حقًا للفقراء، وهي ثالث أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه العظام، أمر الله بها في كتابه الكريم، وحث

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الطَّهَارَةِ، بَابُ: الْصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ ١/٢٠٩/٢٣٣.

(٢) العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع: محمود السيد شيخون، ص ١٠، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢.

عليها رسوله (ﷺ) في سنته المطهرة، وقرنها الله (ﷻ) بالصلاة في أكثر من موضعٍ في القرآن الكريم، وأجمع العلماء على وجوبها وفرضيتها.

ومما يدل على أهمية الزكاة: أن وجوبها ثابتٌ بالقرآن، والسنة، والإجماع[١]، ومما جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٢]،

وقوله (ﷺ) لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) حين بعثه إلي اليمن:".... فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ...."[٣].

ومما يؤكد أهميتها أيضاً: فعل النبي (ﷺ) حيث كان يُرسل السعاة لجمع الزكاة من الناس، وكذلك خلفاؤه من بعده.

والزكاة (مواساة كريمة للفقراء والمحاويج، أشار الله تعالى إلى بعض فوائدها)[٤] بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٥].

---

(١) استدل الإمام الشافعي (رحمه الله) بقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}(سورة النساء، الآية رقم: ١١٥).على كون الإجماع حجة، فقال (رحمه الله): وإذا أجمع المسلمون على اعتقادٍ أو قول أو فعل من أفعال الطاعة وأقوالها، فقد وجب على كل مسلم أن يتشبه بهم في ذلك الاعتقاد أو الفعل أو القول، ومن خالفهم كان خارقاً للإجماع. ينظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه، نجم الدين محمد بن محمد العامري القرشي الدمشقي الشافعي، الجزء الأول، ص ١٣٣, تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط: دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٢) سورة التوبة، جزء من الآية رقم ١٠٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا ١٤٩٦/١٢٨/٢. ومسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْإِيمَانِ، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام١٩/٥٠/١. بسندهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، جزءا من حديث طويل.

(٤) منهج التشريع الإسلامي وحكمته (ضمن «المحاضرات» المطبوعة بـ «بآثار الشنقيطي»): محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ص١٢، مرجع سابق.

(٥) سورة التوبة، جزء من الآية رقم ١٠٣.

فوائد الزكاة وثمارها:

أولاً: أنها قيام بركن من أركان الإسلام الذي عليه مدار سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أنه يترتب عليها أجرٌ عظيم، وثوابٌ جزيل، قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[1]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، أن النبي (ﷺ)، قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ[2] تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ[3]، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»[4].

ثالثاً: أن الزكاة تطهر النفس من الشُح والبُخل، وسيطرة حب المال على الإنسان، ولذلك قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾[5]، كما أنها تُطهر نفوس الفقراء من الغل والحقد والحسد للأغنياء.

رابعاً: أنها تبني لدى الإنسان صفة الرحمة بالضعفاء، وتعزز فيه خلق العطف على الفقراء، وتجعله يشعر بمشاعرهم.

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ٢٧٦.

(٢) (العدْل) بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ فِي الْحَدِيثِ. وَهُمَا بِمَعْنَى المِثْل. وَقِيلَ: هُوَ بِالْفَتْحِ مَا عَادَلَه مِنْ جِنْسِه، وَبِالْكَسْرِ مَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِه. والمعني من تصدق بمثل تمرة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات مجد الدين بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (١٩١/٣).

(٣) (الفَلُوّ): المُهْرُ الصغير. وَقِيلَ: هُوَ الفَطِيم مِنْ أَوْلاد ذَوات الحافِر. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤٧٤/٣، مرجع سابق.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ١٤١٠/١٠٨/٢.

(٥) سورة التوبة، جزء من الآية رقم ١٠٣.

خامساً: أن الزكاة تجلب السعادة للمعطي والآخذ، وذلك أن المعطي للزكاة، حين إعطاءه للزكاة، وبذله لها للمحتاجين، يشعر بمشاعر الإنجاز والعطاء للآخرين، فتأتيه السعادة، وأما الآخذ فيشعر بالسعادة، لكون هذه الزكاة تسد خلته، وتسهم في معالجة حاجته.

سادساً: أن الزكاة تحقق التكافل بين أبناء المجتمع المسلم، وذلك لأن البشر متفاوتون في قدرتهم على تحصيل الرزق، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾(١).

ومن الناحية النفسية نجد أن الزكاة عبادة لها خاصية فريدة، فهي ضريبة منظمة تنظيماً جبرياً في صورة الزكاة أو تطوعاً في صورة الصدقة، وهي بذلك هدفها كفالة المحتاجين والبؤساء والضعفاء والعاجزين مع كفالة المجتمع(٢).

رابعا: الصوم

الصوم أحد أركان الإسلام الخمسة، قال جل و علا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾(٣).

والمقصود من الصيام: حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، فالجوع يكسر من حدتها ويذكرها بحال الفقراء والمساكين، وفيه (رياضة

---

(١) سورة النحل، جزء من الآية رقم ٧١.

(٢) لمزيد من التفصيل عن: فريضة الزكاة، وأدلة وجوبها، وحكمة مشروعيتها، وأنصبتها، ينظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج، لأبى الفضل بدر الدين محمد بن أبي بكر الأسدي الشافعي، الجزء الأول، ص ٤٧٧ وما بعدها، تحقيق:اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط: دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٨٣.

عظيمة للنفوس وإعانة عظيمة على تقوى الله تعالى)[1] والصيام سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه سواه.

وقبل ذلك كله فإن الصوم عبادة لله (ﷻ)، فالصائم يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل الله، وذلك حقيقة الصيام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، أَنَّ النبي (ﷺ)، قَالَ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ"[2].

وللصيام أثرٌ واضحٌ في وقاية الفرد من الوقوع في الشهوات، أو اقتراف الذنوب والمعاصي، إذ يمتنع المسلم من الوقوع فيما يُغضب الله تعالى، ويلزم الطاعات، والأعمال الصالحة، ولذلك أضاف الله تعالى الصيام إليه تشريفًا وتعظيمًا.

كما أن الأجر المُترتّب على الصيام مختلف عن الأُجور المُترتّبة على باقي الأعمال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) أن النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: ــ يقول الله تعالى ــ " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَلَخُلُوفُ[3] فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ"[4].

كما أن للصيام أيضا أثراً واضحاً في تربية المجتمع المسلم على التكافل الاجتماعي، وذلك اقتداءً بالنبيّ (ﷺ) إذ كان (ﷺ) كثير العطاء والسخاء خاصة

---

(١) منهج التشريع الإسلامي وحكمته (ضمن «المحاضرات» المطبوعة بـ «بآثار الشنقيطي»): محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ص١٠، مرجع سابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الصَّوْمِ، بَابُ: فَضْلِ الصَّوْمِ٣/٢٤/١٨٩٤.

(٣) (الخُلوف) بالْخَاء مَضْمُومَة، هُوَ تغير رائحة الفم بِالصَّوْمِ. ينظر: غريب الحديث، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: د. عبد المعطي أمين، ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م، (٢٩٨/١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: اللِّبَاسِ، بَابُ: مَا يُذْكَرُ فِي المِسْكِ ٧/١٦٤/٥٩٢٧.

في شهر رمضان، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ....»(١).

فالصيام بذلك جعل المسلم يشعر بأخيه، فالغني يعطي الفقير، مما يؤدي إلي انعدام العوز والحاجة والفقر، وفي ذلك قوة للمجتمع واستحالة تفككه وانهياره(٢).

خامسا: الحج.

شرع الله تعالى الحج رحمة لعبادة، ومغفرة لذنوبهم، وجعله ركناً من أركان الإسلام، وفريضة تؤدى في العمر مرة واحدة(٣)، وذلك لما فيه من الأجر العظيم والمنافع الكثيرة والفوائد العديدة والمصالح الدينية والدنيوية, التي تعود على الفرد والمجتمع بالخير والفلاح.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الصَّوْمِ، بَابُ: أَجْوَدُ مَا كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَكُونُ فِي رَمَضَانَ٣/٢٦/١٩٠٢. ومسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْفَضَائِلِ، بَابُ: كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ ٤/١٨٠٣/٢٣٠٨. جزءاً من حديث.

(٢) لمزيد من التفصيل عن الصيام، وفرضيته، وأحكامه، ينظر: الحاوي الكبير، لأبى الحسن الماوردى، الجزء الثالث، ص ٣٩٤ وما بعدها، ط: دار الفكر ــ بيروت، بدون تاريخ.

(٣) والدليل على أن فريضة الحج تجب على الإنسان مرة واحدة في حياته، وما زاد على ذلك فهو تطوع، ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ». أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْحَجِّ، بَابُ: فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ ٢/٩٧٥/١٣٣٧. ومن هذا الحديث يتبين أن الحج فُرِض علي المسلم مرة واحدة طيلة عمره، وما زاد فهو نافلة.

وأيضاً فإن شعيرة الحج فيها من المصالح العظيمة، والتعارف، والتعاون على الخير، والتواصي بالحق، والتفقه في الدين، وإعلاء كلمة الله، وتوحيده، والإخلاص له، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة والفوائد التي لا تحصى.

ومن رحمته سبحانه أن جعل الحج فرضا على جميع المسلمين في مشـــارق الأرض ومغاربها، فالحج فريضة عامة على جميع المسلمين: رجالاً ونساء، مع الاستطاعة، كما قال تعالي: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1]، فالآية الكريمة واضحة في أن الحج واجب على جميع الناس مع الاستطاعة.

ومن الآثار التي يحدثها الحج في تربية النفس البشرية، ما يلي:

أولا: تحقيق توحيد الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما): "أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ): لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ"[3].

ثانيا: إظهار الافتقار إلى الله سبحانه:

فالحاج يبتعد عن الترفه والتزين، ويلبس ثياب الإحرام، متجرداً عن الدنيا وزينتها، فيظهر عجزه، ومسكنته، ويكون في أثناء المناسك ضارعا لربه (عز وجل)،

---

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ٩٧.

(٢) سورة الحج، الآيات (٢٦ــ٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الحَجِّ، بَابُ: التَّلْبِيَةِ ١٥٤٩/١٣٨/٢. ومســـلم فـــي صحيحه، كِتَابُ: الْحَجِّ، بَابُ: التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا ١١٨٤/٨٤١/٢.

مفتقراً إليه، ذليلاً بين يديه، منقادا بطواعية لأوامره، مجتنباً لنواهيه سبحانه، سواءٌ علم حكمة هذه المناسك أم لم يعلم.

ثالثاً: تحقيق التقوى لله تعالى:

فتقوي الله (ﷻ) هي المراد من جميع الأعمال الصالحة ولاسيما الحج، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾(١).

رابعاً: إقامة ذكر الله (ﷻ):

فمن أهم غايات الحج وأهدافه: ذكر الله (ﷻ)، قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾(٢).

خامساً: تهذيب النفس البشرية:

فتهذيب النفس البشرية وترويضها علي الطاعات وترك المنكرات من أهم مقاصد الحج، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾(٣).

وعن أَبَى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، **قَالَ:** سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(٤).

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٩٧.

(٢) سورة الحج، الآيات (١٩٨ ــ ٢٠٠).

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٩٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الحَجِّ، بَابُ: فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ ٢/١٣٣/١٥٢١.

سادساً: في الحج تذكيرٌ بالآخرة ووقوف العباد بين يدي الله تعالى يوم القيامة: فالمشاعر تجمع الناس في عرفات وغيرها من مختلف الأجناس في زي واحد، مكشوفي الرؤوس، يُلَبون دعوة الخالق (ﷻ)، وهذا المشهد يشبه وقوفهم بين يديه سبحانه يوم القيامة في صعيد واحد خائفين وجلين مشفقين، وذلك مما يبعث في نفس الحاج خوف الله ومراقبته والإخلاص له في العمل.

سابعاً: تربية الأمة الإسلامية على معاني الوحدة الصحيحة:

ففي الحج تختفي الفوارق بين الناس من الغنى والفقر، والجنس واللون، وغير ذلك، وتتوحد وجهتهم نحو خالق واحد، وبلباس واحد، يؤدون نفس الأعمال في زمن واحد ومكان واحد، بالإضافة إلى ما يكون بين الحجيج من مظاهر التعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

ثامناً:- أن أداء فريضة الحج فيه شكرٌ لنعمة المال وسلامة البدن:

ففي الحج شكر هاتين النعمتين العظيمتين، حيث يجهد الإنسان نفسه، وينفق ماله في التقرب إلى الله تعالى.

إلى غير ذلك من الحكم والفوائد، والمنافع التي تعود على الفرد والمجتمع بتأدية فريضة الحج.

من هذا يتبين: (أن السمات الرئيسية البارزة في العبادات الإسلامية تربط بين الأرض والسماء والدنيا والآخرة، فهي مزيج من الجوانب التعبدية والعملية)[1]، فالعبادة في الإسلام منهج متكامل المراحل والفصول، وطريق واضح المعالم، وغرضه: تحقيق الكمال البشري، فالله (ﷻ) خلق الإنسان من

(١) السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، ص ٣٨٧، بتصرف يسير، مرجع سابق.

أجل عبادته سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]، وقال تعالي: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[2].

ومما يعزز أهمية العبادة في الإسلام أنها ذات منهاج فطري له طبيعة اجتماعية بحيث لا يؤمن بالفصل بين الدنيا والآخرة، فهو لا يدعو إلى محاربة المطالب الجسدية، من الطعام، والشراب، والزواج، والراحة، والاستمتاع بالطيبات بدعوى أنها تعارض التكامل الروحي والتقرب من الله تعالي، بل وازن بمنهاجه موازنة تامة بين الروح والجسد، ولم يفصل بينهما.

فالإسلام لا يرى في مطالب الجسد حائلاً يقف في طريق تكامل الروح، أو عائقاً يعرقل تنامي الأخلاق، بل يؤمن بأن هدف الجسد والروح من حيث التكوين الفطري هدف واحد، ومنهاج تنظيمها وتكاملها منهاج واحد.

لذلك كان لكل فعل عبادي أثرٌ إصلاحي على صحة الجسد وعلى النفس والأخلاق، والعلاقة بالله تعالي, فالطهارة، والصوم، والصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد... كلها عبادات ذات مردود إصلاحي على الفرد جسداً وروحاً فضلاً عن أثرها التكاملي في نظام المجتمع. قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[3]. و قال تعالي: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[4].إلي غير ذلك من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي دعت إلى الموازنة بين الروح والجسد، وهذا ما يتميز به الإسلام عن غيره من الديانات الأخرى.

---

(١) سورة الذاريات، الآية رقم ٥٦.

(٢) سورة الحجر، الآية رقم ٩٩.

(٣) سورة القصص، الآية رقم ٧٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية رقم ٣٢.

المطلب الثالث
البناء الأخلاقي للإنسان

الخُلُق لغة: السجية والطبع والمروءة والدِّين[١]، وهو صورة الإنسان الباطنة، أما صورة الإنسان الظاهرة فهي الخَلْق بالفتح[٢]، وكان من دعاء النبيِّ (ﷺ): «... وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ،»[٣]، ويوصَفُ المرءُ بأنه حسَنُ الظاهر والباطن إذا كان حسَنَ الخَلْق والخُلُق.

والخُلُق اصطلاحًا: عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدرُ عنها الأفعالُ بسهولة ويُسرٍ، من غير حاجة إلى فكرٍ ولا رويّة[٤]، وهذه الهيئة إما أن تصدرَ عنها أفعالٌ محمودة، وإما أن تصدرَ عنها أفعالٌ مذمومةٌ، فإن كانت الأولى، كان الخُلُق حسنًا، وإن كانت الثانية، كان الخُلُق سيِّئًا[٥].

ومن أبرز سمات الدين الإسلامي: قاعدته الأخلاقية العريضة الشاملة لكل تصرفات الإنسان، وارتباط هذه القاعدة الأخلاقية بحقيقة الإيمان[٦].

---

(١) الكليات: للكفوي ٤٢٩/١، مرجع سابق.

(٢) ينظر: لسان العرب، لأبى الفضل جمال الدين بن منظور ٨٦/١٠، مرجع سابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ: الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ ٧٧١/٥٣٤/١، بسنده عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه)، جزءا من حديث طويل.

(٤) ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، ص٤١، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.، التعريفات الفقهية: محمد المجددي البركتي، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (٨٩/١).

(٥) ينظر: لسان العرب، لأبى الفضل جمال الدين بن منظور ٨٦/١٠، مرجع سابق.

(٦) ينظر: علم الأخلاق الإسلامية، د. مقداد محمد علي، ص ٤٨، ط: دار عالم الكتب ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

فالتربية الأخلاقية يقصد بها: مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الإنسان، ويكتسبها، ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وعلاقته بغيره(١).

وقد دلّت الأبحاث في ميدان التربية(٢)، أن صلاح سلوك الإنسان يتناسب مع مدى سلامة أفكاره ومعتقداته، وأن انحراف سلوكه راجع إلى فساد أفكاره ومعتقداته، وبذلك يكون السلوك الإنساني ترجمة لما يؤمن به الإنسان ويعتقده.

ولا شيء أقدر على تقويم سلوك الإنسان وضبطه مثل العقيدة الإسلامية، ذلك لما لهذه العقيدة من سلطان على سلوكه وتصرفاته نابع من داخل الإنسان نفسه(٣) يحمله على التحلي بمكارم الأخلاق ومحاسنها، ويجنبه سيئها وفاسدها. فعَن أبي هُرَيرة (ﷺ) أن النَّبِيّ (ﷺ) قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٤) (فقد قصر الرسول أهداف رسالته في هذا الحديث على الأخلاق، وأنه جاء ليتم البناء الأخلاقي الذي بدأت الرسالات السابقة به)(٥).

---

(١) ينظر: في الأصول الإسلامية للتربية، د. محمد عبد العليم مرسي، الجزء الأول، ص ٩٢، مرجع سابق.

(٢) ينظر: السنة النبوية رؤية تربوية، د. سعيد إسماعيل علي، ص ٢٧١، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٣) ينظر: في الأصول الإسلامية للتربية، د. محمد عبد العليم مرسي، الجزء الأول، ص ٢٤١، مرجع سابق.

(٤) أخرجه البزار في مسنده ٨٩٤٩/٣٦٤/١٥. وأخرجه الحاكم في المستدرك، كِتَابُ: تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، باب: وَمِنْ كِتَابِ آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) الَّتِي هِيَ دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ ٤٢٢١/٦٧٠/٢. وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، ووافقه الذهبي.

(٥) علم الأخلاق الإسلامية: د. مقداد محمد علي، ص ٤٨، مرجع سابق.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، أن النبي (ﷺ) قال: "مَثَلِي، ومَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ"(١).

(فهدف الرسالات الإلهية كلها هدف أخلاقي أيضاً، لأنها تستهدف إرشاد الإنسان إلى طريق الخير وإبعاده عن الشر في الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة، وهذا هو موضوع الأخلاق)(٢).

فالإنسان الذي آمن بعقيدة التوحيد يكون مذعناً لأوامر ربه ونواهيه طاعة له، لأنه علم أن خالقه هو المتصرف في كل شيء بعدله وحكمته، وهو عالم الغيب والشهادة المطلع على ما في الصدور، والحسيب الرقيب على كل حركاته وسكناته، وقد أجاب النبي (ﷺ) جبريل (عليه السلام) عندما سأله عن الإحسان فقال: «....**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٣).

وإذا تتبعنا نصوص السنة النبوية نجدها قد ربطت في كثير من الأحاديث بين الإيمان وحُسن الخلق، وجعلته دافعاً وباعثاً عليه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: المَنَاقِبِ، بَابُ: خَاتِمِ النَّبِيِّينَ (ﷺ) ٣٥٣٤/١٨٦/٤. ومسلم في صحيحه، كتاب: الْفَضَائِلِ، بَابُ: ذِكْرِ كَوْنِهِ (ﷺ) خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ٢٢٨٦/١٧٩١/٤. جزءا من حديث.

(٢)علم الأخلاق الإسلامية: د. مقداد محمد علي، ص ٤٨، مرجع سابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ: معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ٨/٣٦/١. بسنده عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، جزءا من حديث طويل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الأَدَبِ، بَابُ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ٦٠١٨/١١/٨. ومسلم في صحيحه، كتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ: الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ ٤٧/٦٨/١.

وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه)، أن النبي (ﷺ) قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(١).

ومما سبق يتضح أثر العقيدة الإسلامية ودورها في بناء الإنسان المسلم بناء يبلغ به ذروة الكمال الإنساني على المستوى الفكري والنفسي والسلوكي.

وقد كان النبي (ﷺ) أحسن الناس خُلقاً، فقد سأل سَعْدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، السيدة عَائِشَةَ (رضي الله عنها) فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ (ﷺ) كَانَ الْقُرْآنَ...»(٢)، ومعنى أنّ خُلقه القرآن أنّه يعمل به، ويقف عند حدوده، ويتأدّب بآدابه، ويعتبر بأمثاله وقصصه، ويتدّبره، ويحسن تلاوته(٣).

ومما يدل على ذلك وصف الله – تعالى– لنبيه (ﷺ) بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾(٤)، ومن الواجب على كلّ مسلمٍ الاقتداء بالنبي (ﷺ) في سلوكه وأخلاقه، فأقرب المؤمنين منه يوم القيامة أحاسنهم أخلاقا، فقد روى عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) كان يقول: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الْإِيمَانَ، بَابُ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ١/١٢/١٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ١/٥٢١/٧٤٦، جزءا من حديث طويل.

(٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبد الله بن حميد، وآخرون، الجزء الأول، ص ٨١، ط: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

(٤) سورة القلم، الآية رقم ٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كِتَابُ: الأَدَبِ، بَابُ: حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ البُخْلِ ٨/١٣/٦٠٣٥.

إن الخُلق هو أبرز ما يراه الناس ويدركونه من سائر أعمال الإسلام، فالناس لا يرون عقيدة الشخص لأن محلّها القلب، كما لا يرون كلّ عباداته، لكنهم يرون أخلاقه ويتعاملون معه من خلالها(١)، لذا فإنهم سيُقَيّمون دينه بناء على تعامله، فيحكمون على صحته من عدمه عن طريق خلقه وسلوكه، لا عن طريق دعواه وقوله.

وكذلك بين النبيّ (ﷺ) أن أجر حسن الخلق ثقيل في الميزان، بل لا شيء أثقل منه، فعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) أن النبيِّ (ﷺ)، قال: "ما مِنْ شيءٍ أثقلُ في الميزانِ مِن حُسنِ الخُلُقِ"(٢).

إذاً يمكن القول بأن منظومة الأخلاق في الإسلام تعمل على تنظيّم العلاقات البشريّة، فيكون لها أثر على الإنسان، وبالتالي علي المجتمع، والقرآن الكريم اهتمّ بالأخلاق اهتماماً عظيماً ظهر ذلك في كثير من آياته، وكذلك السنة الشريفة، حيث تتحدث كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن: جملة من الأخلاق التي يجب أن يتّصف بها المسلم بشكلٍ ذاتي، تنتظم من خلالها وتتحدد معالم علاقاته بالنّاس، كالصدق، والإخلاص، والرحمة والصبر، والعفو، والإحسان.....إلخ، وهناك القيم الاجتماعيّة التي تشمل العلاقات البشريّة في كلِّ صورها، وهي القيم والأخلاق التي تُنَظّم أشكال تعاون أفراد المجتمع بعضهم ببعض، كالتعاون، والتكافل الاجتماعي، والمودة، والتضحية، والبذل.....إلخ، وكل ذلك دعا إليه الإسلام وَحَثَّ عليه.

---

(١) ينظر: قواعد البناء في المجتمع الإسلامي، د. محمد السيد الوكيل، ص ٧٢، مرجع سابق.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق ٤٧٩٩/١٧٧/٧. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٥١٧/٥٠٩/٤٥، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: الحديث إسناده صحيح. وأخرجه ابن أبي شيبة فى مصنفه ٢٥٣٢٣/٢١١/٥.

المطلب الرابع
البناء الفكري للإنسان

خلق الله (ﷻ) الإنسان في أبهى صورة وأحسن تقويم، وكرّمَه على سائر المخلوقات وفضّله على كثير ممّن خلق تفضيلا، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]، فوهبَهُ العقل وجعله مناط التكليف، وأوجب حفظه وعدّه إحدى الضروريات الخمس (حفظ الدين، وحفظ النّفس، وحفظ النّسل، وحفظ المال، وحفظ العقل)[2].

فحرّم الخمرَ وكلَّ المسكرات حفاظًا علي العقل وعلي إنسانية الإنسان، فضلًا عن الأضرار الدينية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والصحية المترتبة عليها، ودعا الإنسان إلى تسخير العقل في التفكّر بخلقه، والتدبّر بمكنونات الكون وأسراره، فجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدعو وتحث على ذلك، ليعتبر الإنسان بما في هذا الكون من آيات دالة على قدرة الخالق سبحانه، فيزداد إيمانه ويتجذر يقينه وتتعمق رسالته.

ومن الآيات القرآنية التي تحدثت عن ضرورة التفكير واستخدام العقل فيما يفيد، قوله تعالي: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية رقم ٧٠.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ، ٢٧٤/٣.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٦٤.

وقوله تعالي: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1].

وقوله جل ذكره: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[2]، وغيرها كثير من الآيات التي تدل علـى احترام العقل وتحثه على النظر والتفكر والتدبر.

أمّا الأحاديث التي تبين مكانة العقل ومنزلة الفكر في الإسلام فهي كثيرة، منها:

ما رُوي عَنْ أَبِي مَسْعُود (رضي الله عنه)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله (ﷺ) يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا[3]في الصَّلَاة، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[4]. وأولو الأحلام والنهى هم: العقلاء[5]، وهذا مدح للعقل وأهله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٩١.

(٢) سورة النحل، الآيات (١٠ ــ ١١).

(٣) (المَنْكِب): مجمع ما بين العضد والكتف. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلـوم: نشوان اليمني تحقيق: د. حسين عبد الله العمري ــ مطهر علي الإرياني ــ د. يوسـف محمد عبد الله، ط: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، (٦٧٤٣/١٠). والعضد أعلـى الـذراع وفوقـه الكتف. ينظر: غريب الحديث، لأبي محمد الدينوري، تحقيق: د. عبـد الله الجبـوري، ط: مطبعة العاني ــ بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، (٢٢٤/١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الصَّلَاة بَابُ: تَسْوِيَة الصُّفُوف، وَإِقَامَتهَا، وَفَضْل الْأَوَّل فَالْأَوَّل مِنْهَا، وَالَازْدِحَام عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّل، وَالْمُسَابَقَة إِلَيْهَـا، وَتَقْـدِيم أُولِـي الْفَضْـل، وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الْإِمَامِ ٤٣٢/٣٢٣/١.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤٣٤/١، مرجع سابق.

وقوله (ﷺ) لِلْأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ"(١). والحلم يُطلق ويُراد به: العقل(٢)، وأمّا الأناة فهي: التَّثَبُّت فِي الْأُمُورِ، وَذَلِكَ مِنْ شِعار العقُلاء(٣).

ولمّا كان العقل هو أداة الفهم والفكر والإدراك ومناط التكليف، فقد أولاه الإسلام هذه المكانة لكونه الأداة في بناء فكر الإنسان، لأن الإنسان لديه(قدرات عقلية كامنة تعبر عن نفسها في السلوك الظاهري من خلال القدرة على التدبير، أي: تدبير أمور المعاش في حياة الأفراد والمجتمعات، ولذلك تهدف التربية الإسلامية إلي جلب ما هو نافع صائب، ودفع ما هو ضار خاطئ، ويسمى صاحب هذه القدرة: عاقلًا حكيماً)(٤).

كما أنّ الإسلام ذمّ الجمود والتقليد الأعمى، لأنّ ذلك فيه تعطيل للعقل وتبديد له عن غير ما أراده الله تعالي، وقد ذم القرآن الكريم كل من عطل عقله عن التفكير والنظر والاعتبار بآيات الله، ووصفهم بانعدام العقل والفكر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾(٥) فالتقليد هو شيمتهم وشأنهم، وهو السند الذي يركنون إليه في محاكاة آبائهم وأجدادهم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ: الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ ١/٤٨/١٧.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، لأبى الحسن المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، (٣/٣٦٤).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١/٤٣٤، مرجع سابق.

(٤) أهداف التربية الإسلامية، د: ماجد الكيلاني، ص ٥٧، ط: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

(٥) سورة البقرة، الآيات (١٧٠ ــ ١٧١).

ولذلك فإن منهج الإسلام في بناء فكر الإنسان (منهج شامل ومتوازن ومنضبط، فدعا الإسلام إلى استخدام العقل بالتفكر والنظر ليبني تصوره عن الله والكون والإنسان، وجعل له مدًى محدّداً لا يتعداه، لأنه مع كل هذا يبقى العقل البشري قاصراً عن إدراك كُنه الكثير من المخلوقات وحقيقتها، فوازنه وضبَطَهُ بالوحي، فصار عقل الإنسان وفكره ونظره وتفسيره منضبطًا بالوحي، فهو ما بين العقل والنقل)[1].

ولذا كان أول ما نزل من القرآن الكريم علي النبي (ﷺ) قوله تعالي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[2]، ثم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾[3] (فاقرأ) تبني فكره، (وقيام الليل) يبني روحه، وبعد ذلك نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾[4]. ليتحرك ويدعو ويبلغ هذا الدين بعد بناء الفكر والروح، وهذا هو منهج الإسلام في بناء الإنسان وتكامل شخصيته[5].

ومن هنا ندرك أن الإسلام عمل على بناء العقل الإنساني وتطوير فكره لينطلق في عمارة الأرض وازدهارها، وصناعة الحياة بالمعاني والقيم الإيمانية الراسخة.

---

(١) بلاغ الرسالة القرآنية، من أجل إبصار لآيات الطريق: فريد الأنصاري المغربي، ص ٣٨، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٢) سورة العلق، الآية رقم ١.

(٣) سورة المزمل، الآيات (١ ــ ٢).

(٤) سورة المدثر، الآيات (١ ــ ٢).

(٥) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية، د:عمر الشيباني، ص ٩٢، مرجع سابق.

المطلب الخامس
البناء الجسماني للإنسان

نَظَرَت الشريعة الإسلامية إلى موضوع البناء الجسدي والصحة العامة للإنسان على أنّه إحدى النعم الربانية التي ينعم الله تعالي بها على الإنسان، فاعتبرت الشريعةُ الإسلاميةُ حِفْظَ الصحةِ والبدنِ أحد مقاصدها الخمسة: (حفظ الدين، وحفظ النّفس، وحفظ النّسل، وحفظ المال، وحفظ العقل)(١).

فالصحة هي العافية التي تعتبر من حاجات الإنسان الأساسية(٢)، فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّه بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ): «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»:"(٣).

واهتم الإسلام بسلامة البدن حتي يتمكن الإنسان من القيام بالعبادات والطاعات التي أمره الله تعالى بها، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ(٤) فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ ==

---

(١) لمزيد من التفصيل، ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن الآمدي ٢٧٤/٣.

(٢) تُعَرَّف الصحة أيضا بأنها: تحسين حالة الإنسان جسميا ونفسيا وعقليا ومعيشيا، وليست مجرد غياب المرض. الطب الوقائي في الإسلام: د. أحمد شوقي الفنجري، ص ١١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّه (ﷺ)، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الكَفَافِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ ٥٧٤/٤/٢٣٤٦. وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ. وأخرجه ابن ماجه في سننه، أَبْوَابُ: التِّجَارَاتِ، بَابُ: الِاقْتِصَادِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ ٢٧٤/٣/٢١٤٢.

(٤) معني قوله (ﷺ): نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الغبن هو: النقص في البيع، أي أن هذين الأمرين إذا لم يستعملا فيما ينبغي فقد بيعا ببخس لا تُحمد عاقبته، لأن الصحة والفراغ هما رأس مال المكلف، فينبغي أن يعامل الله تعالى فيهما بما يحبهما حتى لا=

==وَالفَرَاغُ"[1]، فكثيرٌ من الناس لا يستخدمون نعمة الصحة في المواضع الصحيحة المقدرة لها.

كما أنّ الله – تعالى – أمر المسلمين بإعداد القوة اللازمة لقتال المشركين ومواجهتهم، ولن يتثني ذلك إلا بالاهتمام بالبناء الجسدي للإنسان وإعداده إعداداً جيدا، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2]، والقوة هنا: هي وسائل القدرة على القتال والغلبة، ومن القوة أيضا: كثرة القادرين على القتال والعارفين بأساليبه[3].

وحث النبي (ﷺ) أصحابه على الاهتمام بالتربية الجسدية، وعدم التهاون فيها، ومن ذلك ما روي عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: "{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}[4]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ"[5].

=يتبدلان بالمرض والاشتغال، فيندم على تضييع عُمره. ينظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي، ط: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م، ٤/(٦–٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الرِّقَاقِ، بَابٌ: لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ ٨/٨٨/٦٤١٢.

(٢) سورة الأنفال، جزء من الآية رقم ٦٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م، (١٩/٢٦٤).

(٤) سورة الأنفال، جزء من الآية رقم ٦٠.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْإِمَارَةِ، بَابٌ: فَضْلِ الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ ٣/١٥٢٢/١٩١٧.

وذلك لما في الرمي من تحصيل القوة الجسدية اللازمة للدفاع عن الأوطان ورد كيد الأعداء.

كما اعتبر الإسلام القوة الجسدية سببا لنيل محبة الله تعالي إذا استخدمها صاحبها فيما يرضيه (ﷻ)، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، أن النبي (ﷺ)، قال: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ..."(١).

ومعني قوله (ﷺ): المؤمن القوي: أي (القوي البدن والنفس، الماضي العزيمة، الذي يصلح للقيام بوظائف العبادات من الصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على ما يصيبه في ذلك، وغير ذلك مما يقوم به الدين، وتنهض به كلمة المسلمين، فهذا هو الأفضل والأكمل، وأما من لم يكن كذلك من المؤمنين، ففيه خير من حيث كان مؤمنا، قائماً بالصلوات، مكثرا لسواد المسلمين، ولذلك قال (ﷺ): "وفي كل خير" لكنه قد فاته الحظ الأكبر، والمقام الأفخر)(٢).

وحفاظاً على قوة الإنسان الجسدية، أرشد الإسلام إلى الاقتصاد في الطعام والشراب، وعدم الإسراف فيهما، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾(٣)، فالإسرافُ في المطاعم والمشاربِ من أعظم أسباب الأمراض

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الْقَدَرِ، بَابٌ: فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ ٤/٢٠٥٢/٢٦٦٤. جزءاً من حديث.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: لأبي العباس القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ــ أحمد محمد السيد ــ يوسف علي بديوي ــ محمود إبراهيم، ط: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م، (٦/٦٨٢/٢٥٩١).

(٣) سورة الأعراف، جزء من الآية رقم ٣١.

المتنوعة[1]. فعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله (ﷺ) يَقُولُ:" مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ"[2].

وكان من أعظم الأدعية النبوية سؤالُ الله تعالى العافية، فعن عبدُ الرحمن بنُ أبي بكرَة، أنه قال لأبيه: يا أبت إني أَسمعُكَ تَدْعُو كلَّ غَدَاة: اللَّهُمَّ عافِني في بَدَني، اللهم عافِني في سَمْعِي، اللَّهُمَّ عافني في بَصَري، لا إلهَ إلا أنت، تُعيدها ثلاثاً حينَ تُصْبِحُ، وثلاثاً حينَ تُمسي، فقال:" إني سمعتُ رسولَ الله (ﷺ) يدعو بهنَّ فانا أُحبُّ أن أستَنَّ بسُنَّتِه"[3].

كما أن من أهداف البعثة المحمَّدية: أنْ يُحِلَّ (ﷺ) لأُمَّته الطيِّبَ النافع، ويُحَرِّم عليها الخبيثَ الضار، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ** ﴾[4]، وذلك حفاظا على جسد الإنسان وصحته.

ويوجد أيضاً في القرآن الكريم إرشادٌ وتوجيه إلى أصول العمل بما يسمي: الطِّب الوقائي[1] والذي يعمل على حماية صحة الفرد والمجتمع، يدل علي ذلك

---

(١) ينظر: الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين، د. عبد الرحمن النقيب، ص ٣١، ط: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م.

(٢) أخرجه الترمذي فى جامعه، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ الله (ﷺ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ كَثْرَةِ الأَكْلِ ٤/١٦٨/٢٣٨٠. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وأخرجه النسائي في السنن الكبري، كِتَابُ: الْوَلِيمَةِ، باب: ذِكْرُ الْقَدْرِ الَّذِي يُسْتَحَبُّ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْأَكْلِ ٦/٢٦٨/٦٧٣٧. وابن ماجه في سننه، أَبْوَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابُ: الِاقْتِصَادِ فِي الْأَكْلِ وَكَرَاهِيَةِ الشِّبَعِ ٤/٤٤٨/٣٣٤٩.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، أبواب النوم، باب: ما يقول إذا أصبح ٧/٤٢١/٥٠٩٠، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: الحديث إسناده حسن. وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٣٤/٧٥/٢٠٤٣٠.

(٤) سورة الأعراف، جزء من الآية رقم ١٥٧.

قوله تعالي: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[٣]، فضلاً عما جاء في السنة النبوية من الدعوة إلى الطب الوقائي، أما الدعوة إلى الطب العلاجي فهذا مما لا يُنْكَر وصوره متعدة.

ومن صور اهتمام الإسلام بالبناء الجسدي للإنسان: الاهتمام بالتَّداوي والحثَّ عليه، ومكافحة الأوبئة المُعدية، والأمراض الفتاكة، ومن ذلك: ما روي عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: قَالَتِ الأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلاَ نَتَدَاوَى؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً[٤].

وأيضا ما روي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ (عز وجل)»[٥].

كما يحظي الإسلام ويتميز باشتماله علي أوّل نظام صحي عالمي يقرّ "الحجر الصحي"[٦] عند حدوث الأوبئة والأمراض الخطيرة المعدية، حيث

---

(١) الطب الوقائي: هو علم المحافظة علي الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية. الطب الوقائي في الإسلام: د. أحمد شوقي الفنجري، ص ١١، مرجع سابق.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٩٥.

(٣) سورة النساء، جزء من الآية رقم ٢٩.

(٤) أخرجه الترمذي فى جامعه، أَبْوَابُ الطِّبِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الدَّوَاءِ وَالحَثِّ عَلَيْهِ ٣/٤٥١/٢٠٣٨. جزءاً من حديث. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وأخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه ١٩/٤٧٨/٤٢١.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: السَّلَامِ، بَابٌ: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ وَاسْتِحْبَابِ التَّدَاوِي ٤/١٧٢٩/٢٢٠٤.

(٦) يقصد بالحجر الصحي: عزل المريض بالمرض المعدي في البيت أو المستشفى وعدم اختلاطه بغيره من الأصحاء حتى لا ينقل إليهم العدوى. الطب الوقائي في الإسلام: د. أحمد شوقي الفنجري، ص ٣٦، مرجع سابق.

وضع له قواعد راسخة أقرّها الطبّ الحديث[1]، ومن ذلك ما روي عَنْ أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: «إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ[2] رِجْزٌ سُلِّطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا»[3].

وحذَّر النبيُّ (ﷺ) أُمَّتَه من الاختلاط بأهل المَرَض المُعْدِي، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أن النَّبِيَّ (ﷺ) قال: «لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»[4].

ومن ذلك نعلم عظمةَ ما جاء به الإسلام من نظام صحيٍّ منذ قرون هدفه: المحافظة علي سلامة الإنسان وعلي صحته العامة واعتبار ذلك ضمن الأولويات التي سعت الشريعة الإسلامية لتحقيقها، لأنّ المسلم صحيح البدن والنفس أقدر على القيام بواجبات ومسؤوليات الحياة، وبناء الأمم والحضارات.

---

(١) ينظر: الطب الوقائي في الإسلام، د. أحمد شوقي الفنجري، ص ٣٧، مرجع سابق.

(٢) الطَّاعونُ: قيل هو مَرَض كالوَبَاءِ. وقيل: قروح تخرج بالبَدَن. وقيل:هو كَثْرة المَرَض. وقيل: غُدَّةٌ كغُدَّةِ البَعير تخرج فِي أَسْفَل البطن. ينظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لأبي موسي الأصبهاني المديني، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، ط: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى جـ ١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، جـ ٢، ٣ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م). ٣٥٦/٢.، المخصص: لأبي الحسن المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم، ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، (٤٧٥/١).، النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير ٣٤٣/٣، مرجع سابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ: الطِّبِّ، بَابٌ: الْخُرُوجُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي لَا تُلَائِمُهُ ٢٢١٨/١٧٣٨/٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الطِّبِّ، بَابٌ: لاَ هَامَةَ ٥٧٧٠/١٣٨/٧.

المطلب السادس
البناء الاقتصادي للإنسان

جعل الإسلامُ المالَ إحدى الضرورات الخمس التي أوجب الشارع الحكيم حفظها،وذلك لأهميته في قوام الفرد والمجتمع، يقول الإمام الشاطبي (رحمه الله): "ومجموع الضرورات خمس هي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، هذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعمة، والرجوع بالخسران المبين"(١).

ومن خصائص الإسلام أنَّه دينٌ شامل(٢)، لذا فقد اهتم اهتماماً كبيراً بالنظام المالي والاقتصادي، فوضع نظاما ينظم العلاقات المادية وجميع المعاملات بين أفراده، عن طريق سَنِّ قوانينَ وقواعدَ عامةٍ وخاصة.

ومن البدهي أنْ يَبني المجتمع الإسلامي نظامَه الاقتصادي على العقيدة الإسلامية، فقد جعلها أساسه في بناء المجتمع بجميع أركانه، وقد راعى الإسلامُ في بناء النظام الاقتصادي أيضًا الفطرة والأخلاق الفاضلة(٣).

كما أن الإسلام يقرر حقيقةَ أن المُلكَ لله وليس لأحد ملك خارج عنه، إذ الأرضُ ومن فيها لله وحدَه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

(١) ينظر: الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: مشهور حسن، ط: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٧م، (١٨/٢).

(٢) ينظر: الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، للشيخ عطية صقر، ص ١٠، ط: مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) ينظر: الاقتصاد في الفكر الإسلامي، د: أحمد شلبي، ص ٣٥، ط: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٨٧م.

﴾[1]، وأن المال أيضاً ملك لله سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[2]، غير أنَّ الله – تعالي – قد جعل للإنسان ولايةً على ذلك المال وملكاً مَجازياً له، فنسب سبحانه المال إلى عباده تَفَضُّلاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[3]، وجعله سبحانه مستخلفاً فيه وقائماً عليه، قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[4]، يقول الإمام الرازي (رحمه الله) في تفسيره لهذه الآية: "فِي الْآيَةِ وَجْهَانِ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَمْوَالَ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ إِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُ اللَّهِ بِخَلْقِهِ وَإِنْشَائِهِ لَهَا، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا تَحْتَ يَدِ الْمُكَلَّفِ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ لِيَنْتَفِعَ بِهَا عَلَى وَفْقِ إِذْنِ الشَّرْعِ، فَالْمُكَلَّفُ فِي تَصَرُّفِهِ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ بِمَنْزِلَةِ الْوَكِيلِ وَالنَّائِبِ وَالْخَلِيفَةِ، فَوَجَبَ أَنْ يَسْهُلَ عَلَيْكُمُ الْإِنْفَاقُ مِنْ تِلْكَ الْأَمْوَالِ، كَمَا يَسْهُلُ عَلَى الرَّجُلِ النَّفَقَةُ مِنْ مَالِ غَيْرِهِ إِذَا أَذِنَ لَهُ فِيهِ، الثَّانِي: أَنَّهُ جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، لِأَجْلِ أَنَّهُ نَقَلَ أَمْوَالَهُمْ إِلَيْكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِرْثِ، فَاعْتَبِرُوا بِحَالِهِمْ، فَإِنَّهَا كَمَا انْتَقَلَتْ مِنْهُمْ إِلَيكم فستنتقل مِنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ فَلَا تَبْخَلُوا بِهَا"[5].

إن هذه التصوُّرات التي يُمليها النظامُ الاقتصادي الإسلامي على الأفراد، تُهيِّئهم لتقبُّل قواعده وأصوله التي سوف يُبنى عليها، وتجعل الإنسانَ يقف على حقيقة ما عليه في هذه الحياة، وما هو مطلوب منه، فينشأ المجتمع خالياً من الطمع والجشع اللَّذين يقع فيهما بعض الناس متذرعاً بأنه يسعى لطلب الرزق.

---

(١) سورة المائدة، جزء من الآية رقم ١٨.

(٢) سورة النور، جزء من الآية رقم ٣٣.

(٣) سورة التغابن، جزء من الآية رقم ١٥.

(٤) سورة الحديد، جزء من الآية رقم ٧.

(٥) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): لأبي عبد الله الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، (٤٥٠/٢٩).

والعقيدة الإسلامية راعتْ في نظامها الاقتصاديِّ الفطرةَ، فإنَّ الإسلامَ جاء ليُقوِّم الفطرة، لا ليقضي عليها[1] فإنَّ لها ضروريَّات، وقد أقر الإسلامُ بعضَ الفطر كحب

المال، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾[2]، ولكن قام الإسلام بتهذيب هذا الحب ولم يترك صاحبه يتحصل عليه مما حرَّم الله تعالي.

فقد راعَى الإسلامُ في نظامه الاقتصادي الأخلاقَ الفاضلة، فحرَّم كسْب المال من السرقة والغصب، وحرَّم إنماءه من الغشِّ والغَرَر[3]بالناس، وحرم صرفَه فيما يغضب الله (ﷻ)، بل حث على كسبه من الحلال، وتنميته بالحلال وإنفاقه فيما يُرضي الله تعالي. فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أن النبي (ﷺ)، قال: "**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا....**" [4].

ومما اهتم به النظامُ الاقتصادي أيضاً في بناء الفرد المسلم سَدُّ حاجات الأفراد ودرء الضرر عنهم[5]، فالأصلُ أنَّ كل فرد مسئول عن سد حاجاته، ولكن قد يَعجِز الفرد عن ذلك لظروف معينة، مثل: العجز، والمرض، لذا فقد

---

(١) ينظر: حرمة المال العام في ضوء الشريعة الإسلامية، د: حسين شحاتة، ص ٣٤، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) سورة الفجر، الآية رقم ٢٠.

(٣) نَهى النبي (ﷺ) عَنْ بَيْعِ الغَرَرِ وهُوَ: مَا كَانَ لَهُ ظاهِر يَغُرُّ المشتَرِيَ، وباطِنٌ مَجْهُولٌ. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير ٣/٣٥٥، مرجع سابق.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب: الزَّكَاةِ، بَابُ: قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا٢/٧٠٣/١٠١٥. جزءاً من حديث.

(٥) ينظر: حرمة المال العام في ضوء الشريعة الإسلامية، د: حسين شحاتة، ص ١٣، مرجع سابق.

فرض الإسلام على أسرته وأقاربه سدَّ حاجاته، فإن لم يستطيعوا كانت الزكاة التي هي من حقه في هذه الحالة(١).

ومن المبادئ العامَّةً التي وضعها النظام الاقتصادي في الإسلام: حَثُّ أفراده على العمل، وجعله من القُرُبَات مع استحضار نيَّة الكسب الحلال للتقَوِّي على العبادة والنفقات الواجبة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾(٢)، و قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾(٣)، وعَنِ المِقْدَامِ (ﷺ)، أن النبي (ﷺ)، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ (عليه السلام)، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»(٤).

كما أنه لا يوجد عمل يحتقره الإسلام ما دام مشروعاً، فالعقيدة الإسلامية تحكم على الأفراد بالتَّقْوَى والصلاح، والعمل وسيلة لتحصيل المال للتقرُّب به إلى الله تعالي، والتنافُس بين المسلمين مشروعٌ وفيه مصلحة المجتمع ككل، فعَنْ سيدنا جَابِرٍ (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: « دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»(٥)، غير أن هذا التنافس لا يكون بالغش والإضرار بالآخرين، ولكن بمضاعفة الجهد والعمل.

---

(١) ينظر: الاقتصاد في الفكر الإسلامي، د. أحمد شلبي، ص٤٤، مرجع سابق.

(٢) سورة الجمعة، جزء من الآية رقم١٠.

(٣) سورة الملك، جزء من الآية رقم١٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب: الْبُيُوعِ، بَابُ: كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ ٢٠٧٢/٥٧/٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب: الْبُيُوعِ، بَابُ: تَحْرِيمِ بَيْعِ الْحَاضِرِ لِلْبَادِي ١٥٢٢/١١٥٧/٣. جزءاً من حديث

ولما كان العدل ومراعاة الفطرة هو السِّمة العامة للنظام الاقتصادي في الإسلام، فقد جعل للأفراد حقَّ التملك وحريةَ الملكية الخاصة وأقرَّ بذلك[1]،قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾[2]، وقال تعالى: قال تعالى: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[3]،

وعَنْ أَبِي حرَّةَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ عَمِّهِ (ﷺ)، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ»[4].

ولكن مع إقرار الإسلام للملكية الخاصة للمال وحمايته، فقد وضعه تحت قواعدَ عامةٍ وتنظيمات وقيود: فيجب أن يكون منشؤه مشروعاً، مثل الاتِّجار المباح، أو الإرث، أو الهبة[5] وإلا أُمِرَ بنزعه ومعاقبة صاحبه[6]، ولم ينظر إلى قدر المال، بل المعتبر حِلُّ مصدره.

---

(١) ينظر: الاقتصاد في الفكر الإسلامي، د. أحمد شلبي، ص ٣٣، مرجع سابق.

(٢) سورة يس، الآية رقم٧١.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية رقم٢٧٩.

(٤) أخرجه أبو يعلي في مسنده ١٥٧٠/١٤٠/٣. وقال حسين سليم أسد: الحديث إسناده ضعيف. وأخرجه الدار قطني في سننه، كتاب: البيوع ٩٢/٢٦/٣. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كِتَابُ: الْغَصْبِ، بَابُ: مَنْ غَصَبَ لَوْحًا فَأَدْخَلَهُ فِي سَفِينَةٍ أَوْ بَنَى عَلَيْهِ جِدَارًا ١١٥٤٥/١٦٦/٦.

(٥) (الهبة) معناها: العطية، يقال: وهبت له الشئ إذا أعطيته إياه، ووهَبَ اللهُ لَهُ الشيءَ، فَهُوَ يَهَبُ هِبةً، وتَواهَبَ الناسُ بَيْنَهُم أي:وَهَبَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ. ينظر: لسان العرب، لابن منظور ٨٠٣/١، مرجع سابق.

(٦) ينظر: حرمة المال العام في ضوء الشريعة الإسلامية، د: حسين شحاتة، ص ٥٤، مرجع سابق.

هذا بالنسبة للقيود على نشأة المال، أمَّا بالنسبة لتنميته، فلا يَجوز أن يُنمَّى من الحرام، مثل الاتجار بالمحرَّمات، والغش، والرِّبا، وغير ذلك من وسائل الكسب غير المشروع والمحرم(١).

مما سبق يتبين أن البناء الاقتصادي للفرد المسلم قائمٌ على أساس الكسب المشروع والإنفاق المشروع و أداء ما أمر الله تعالى بأدائه، و تنمية المال بوسائل لا ينشأ عنها أذى للآخرين، فإذا قام التصور في النظام الاقتصادي على هذا الأساس، ازدهرت الحياة الاقتصادية وشاع الرخاء، وتحقق الاستقرار، وكذلك التنمية للفرد والمجتمع.

(١) ينظر: الاقتصاد في الفكر الإسلامي، د. أحمد شلبي، ص٣٤، مرجع سابق.

المطلب السابع
البناء المجتمعي للإنسان

لقد قرَّر علماءُ الاجتماع، ومنهم ابنُ خَلدون أنَّ الإنسان مدنيُّ الطبع. لذلك فهو دائماً يعيش في المجتمعات، ويَسعى لإنشائها(١).

وفي سَعْي الإنسانية لبناء المجتمعات، تقرَّر لديهم أنَّه لا بُدَّ لهذا المجتمع من نظامٍ عام ينضوي تحته أفرادُ هذا المجتمع، يحدِّد حرياتِهم، وينظم العلاقةَ بينهم، ويُجازي المعتدي منهم، ويُثيب المحسن، وتكون له مجموعة من القواعد والأعراف، تُحمد أو تُذَم عند أفراده، ولا شك أن هذه الأمور تُبْنَى على أساسٍ يكون بمنزلة القاعدة لها(٢).

وقد وضع الإسلام معياراً لقيام المجتمع، ألا وهو العقيدة الإسلامية، فالمطلوب من المسلم في حياته هو إقامة الدين والدُّنيا لله ــ سبحانه ــ والتعبُّد بذلك، ــ وكما سبق ــ أن الإنسان مدني الطبع، فهذا أيضاً ما تعلمه المسلمُ من دينه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (٣).كما قرر الإسلام أنَّ أصل البشر واحد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾(٤).

---

(١) ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لابن خلدون، ص ٥٤، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، ص ٥٣، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.

(٣) سورة الحجرات، جزء من الآية رقم ١٣.

(٤) سورة النساء، جزء من الآية رقم ١.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ النبي (ﷺ) قَالَ: "قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ[1] الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ"[2].

فقد جعل الإسلام التفاضُل بين الناس بالتقوى والصلاح وحسن الأخلاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3]، فالإسلام يَعُدُّ (الروابط الاجتماعية ضرورية لتماسك المجتمع، والتحام أفراده ولهذا فإنه يحث على الاتصاف بالجانب الأخلاقي الذي هو التعبير الصادق عن هذه الروابط)[4].

كما تقوم العلاقةُ بين المسلمين على الأخُوة الإيمانية، فالمؤمنون إخوة في الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[5]، وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، أَنَّ النبي (ﷺ) قَالَ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[6].

---

(١) (العُبيَّة): أي الكِبْرُ. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد اليمني، (٧/٤٢٨٠)، مرجع سابق.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب: الدِّيَات، بَابٌ فِي التَّفَاخُرِ بِالأَحْسَابِ ٤/٣٣١/٥١١٦. وأخرجه الترمذي في جامعه، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، بَابٌ فِي فضل الشام واليمن ٦/٢٢٩/٣٩٥٦. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) سورة الحجرات، الآية رقم ١٣.

(٤) قواعد البناء في المجتمع الإسلامي: د. محمد السيد الوكيل، ص ١٣٢، مرجع سابق.

(٥) سورة الحجرات، الآية رقم ١٠.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب: المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ ٣/١٢٨/٢٤٤٢.

إن تطبيق مثل هذه الإرشادات النبوية الحكيمة يؤدي حتما إلي: (صياغة المجتمع على أساس إنساني عالمي، يقوم على مبادئ سليمة، وغايات طيبة وأخلاق قويمة، وروابط تحقق الوحدة والتكافل والعدل، وتمنع الفرقة والأثرة والظلم)(١).

وبذلك تكون المودة والرحمة هي سمَةَ المجتمع المسلم، فيكون المجتمع كالبُنيان الواحد، وقد ذكرت آنفاً أن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (ﷺ) روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(٢).

وبعد فإنَّ الناظرَ بتأمُّل إلى النظام الاجتماعي في الإسلام، يعلمُ أنه أفضلُ نظام، بل هو النظام الوحيد الذي يُحقق للبشرية الاستقرارَ والأمان على وجه الأرض، فهو نظام رب العالمين، أنزله بحكمته لمن خلقهم، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾(٣).

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، ص ٢٣١، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ: تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ ٤/١٩٩٩/٢٥٨٦.

(٣) سورة الملك، الآية رقم ١٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

فقد توصلت من خلال بحثي هذا إلي عدة نتائج وتوصيات يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: أهم نتائج البحث.

1- تُعَدُّ (الشخصية) من أبرز الموضوعات التي تناولها علم النفس بالنظريات والدراسات المختلفة، نظراً لأنها المكون الأساسي والرئيس للتكوين النفسي والذي ينمو ويتفاعل بشكل مستمر خلال جميع المراحل الحياتية للإنسان، كما أن الشخصية هي اللبنة الأولى في بناء صرح المجتمع ثم بناء صرح الأمة الشامخ.

2- يمكن تعريف (الشخصية) من المنظور الديني بأنها: "كيان مبنى على الإيمان بالقيم والمبادئ المستمدة من الكتب السماوية وما سنه رسل الله (b) وسيرة السلف الصالح، وتقوم على مجموعة من الأبعاد التي تجعلها كيانا إنسانياً قادراً على التفاعل مع البيئة بما يحقق لها كلاً من التوافق مع هذه البيئة وجودة الحياة".

٣- الشخصية المسلمة هي مجموع الصفات التي ينبغي على المسلم أن يتحلى بها في سلوكه وتواصله مع الآخرين.

٤- نظر الدين الإسلامي للإنسان على أنه خَيِّر بطبعه، أي خلقه الله (ﷻ) مستوياً مزيناً بالعقل، مدبراً حكيماً، مؤدياً للأمر، قادراً على التمييز، مستقيماً على الفطرة القويمة، ومن ثم فإن الإنسان مجبول على الخير، إلا أن البيئة لها تأثير في عمليتي التنشئة والتطبيع.

٥- إنّ الشخصية المسلمة شخصية سوية واعية مخلصة، ملتزمة بدين ربها، متزنة متكاملة، مجاهدة في سبيل ربها، لها ذاتيتها المستقلة التي تميزها عن غيرها.

٦- من أبرز ما يميز الشخصية المسلمة أنها متميزة في تعاملها مع نفسها، لا تفرط في حقوقها ولا تغفل عن مظهرها الحسن في غير سرف ولا مبالغة، متميزة في شكلها ومظهرها وهيئتها.

٧- العقيدة الإسلامية هي وحدها العقيدة العقلية الموافقة للفطرة، المجيبة على جميع تساؤلات العقل بوضوح وشفافية والمُوجِدة للاطمئنان، وهي التي يجب أن تُتَخذ الأساس الوحيد لبناء الشخصية.

٨- يتجلى أثر جعل العقيدة الإسلامية أساساً لتشكيل عقلية المسلم في مجالات عديدة منها: إدراك دور العقل وحدوده، وإدراك الخط الفاصل بين العقل والوحي، هذا بالإضافة إلى قياس كل فكرة بالعقيدة أخذاً أو رداً.

٩- المسلم لا يهمل نفسه، ولا يفرط في حقوقها من الراحة والطعام والشراب وغير ذلك، وعنايته بذلك ينبئ عن فهم صحيح لشخصيته، ويدل على ذوق رفيع ودقة عالية لمهمته في الحياة وسلامة تصوره لشخصيته السوية التي لا ينفصل مظهرها عن مخبرها، إذ الجسم السليم والشكل النظيف الحسن أليق بالمحتوى الجليل والجوهر النبيل، ومنهما تتكون شخصيته السوية الواعية.

١٠- الشخصية المسلمة بِحُكم كونها مسئولة وصاحبة رسالة سامية في الحياة، وجب عليها أن تكون شخصية اجتماعية فعالة مؤثرة، تخالط الناس وتصبر على أذاهم، وتعاملهم بخلق الإسلام الرفيع الذي يميزها عن غيرها من البشر.

١١- الشخصية المسلمة هي من تؤمن بالإسلام عقيدةً وفكراً وتسعى لتطبيقه في الحياة.

١٢- ثقافةُ المسلم تنعكس بالضرورة على شخصيته، فما من وسيلةٍ لتشكيل أفكارِ الأفراد ومعتقداتهم، وخبراتهم وانفعالاتهم، بل عاداتهم وتقاليدهم، إلا بما يحصلونه من ثقافات.

١٣- دراسة الإسلام تؤدِّي إلى ترقية مشاعر الإنسان، وصقل مواهبه، وتنمية مداركه، وزيادة نشاطاته الفكرية والحركيَّة، فتنطلق النفسُ متطلعةً إلى آفاق جديدة.

١٤- ثقافة المسلم تساهم في تفتيح العقل وتخليصه من التعصُّب المذهبي، فتحرِّر العقلَ من التعصب إلى الإنصافِ والانتصار للحقِّ المشفوع بالأدلة الثابتة، والبراهين القاطعة، فيستقيم الفكر بموازين العلم بعيداً عن الهوى والظنِّ، فهي ثقافةُ الاتزان والاعتدال لا تجنح بالحياة إلى جانبٍ على حساب جانب آخر، ولا تتحيَّز لمذهب، ولا تستعلي على الناس أو تُهوِّن من شأنهم إن لمست فيهم نقصاً أو قصوراً.

١٥- المسلم خُلِقَ لمهمة عظيمة، وهي أن يكون خليفة لله - تعالى- على هذه الأرض ليعمرها وفق منهج الله تعالى، وإدراك هذه المهمة يتطلب من المسلم معرفة سنن الله سبحانه في الكون، وفي المجتمعات، وفي الناس، لكي يكون ذا دور إيجابي فاعل في مجتمعه.

ثانيا: أهم التوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

١- أُوصى الباحثين بالعكوف على دراسة علم النفس وعلم الاجتماع بما لذلك من صلة وثيقة بالدعوة الإسلامية.

٢- كما أُوصى بحيادية الدراسة حتي يظهر نور دعوة الإسلام في غير لبس أو غموض.

٣- كذلك أُوصى بتعدد الأبحاث التي تتناول البيئة وأثرها في بناء الشخصية، وكيف قامت شريعة الإسلام بضبط سُلوك الإنسان وجعله مستقيماً على الفطرة القويمة.

وأخيرا: فهذا ما تيسر لي بعون الله وفضله، فإن كان ما توصلت إليه صواباً، فمن توفيق الله وفضله، وإن كانت الأخرى فما إليها قصدتُ ولا فيها رغبتُ، وأسأل الله تعالي أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

وصل اللهم وبارك على سيدنا ونبينا وقرة عيننا محمد (ﷺ)، وعلي آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم، جل من أنزله.**
- **الإحكام في أصول الأحكام:** لأبى الحسن سيد الدين علي بن محمد الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.
- **أسس التربية الإسلامية وطرق تدريسها:** عبد الرحمن نحلاوي، ط: دار الفكر، دمشق، بدون تاريخ.
- **أسس علم النفس:** د. عبد الستار إبراهيم، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- **الإسلام دين كامل:** ضمن «المحاضرات» المطبوعة بـ «بآثار الشنقيطي»: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي – جدة، ط: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- **الإسلام وعلم النفس:** د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
- **الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية:** لأبى الربيع نجم الدين سليمان الحنبلي (المتوفى ٧١٦ هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- **أصول علم النفس:** د. أحمد عزت راجح، ط: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٨م.
- **الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين:** د.عبد الرحمن النقيب، ط: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م.

• **الاقتصاد في الفكر الإسلامي:** د. أحمد شلبي، ط: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٨٧م.

• **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** لأبى سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

• **أهداف التربية الإسلامية:** د. ماجد الكيلاني، ط: دار القلم، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

• **بداية المحتاج في شرح المنهاج:** لأبى الفضل بدر الدين محمد بن أبي بكر الأسدي الشافعي (المتوفى: ٨٧٤ هـ)، عنى به: أنور بن أبي بكر الشيخي بمساهمة: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط: دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

• **بلاغ الرسالة القرآنية، من أجل إبصار لآيات الطريق:** فريد الأنصاري المغربي، ط: دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

• **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية:** د. محمد عز الدين توفيق، ط: دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

• **التحرير والتنوير:** محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م.

• **التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها:** عاطف السيد، ط: دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

• **التعريفات الفقهية:** محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

• **تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

• **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل):** لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

• **التفوق العقلي والابتكار:** د. عبد السلام عبد الغفار، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٧٧م.

• **التقفية في اللغة:** لأبى بشر اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، (المتوفى: ٢٨٤هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم، مطبعة العاني ــ بغداد، ١٩٧٦م.

• **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق:** لأبى علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

• **تهذيب اللغة:** لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض، ط: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

• **التوقيف على مهمات التعاريف:** زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ): ط: عالم الكتب ــ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

• **الجامع الكبير ــ سنن الترمذي:** لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (المتوفي ٢٧٩ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.

• **الحاوي الكبير:** لأبى الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، ط: دار الفكر ــ بيروت.

• **حرمة المال العام في ضوء الشريعة الإسلامية:** د. حسين شحاتة، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

• **حسن التنبه لما ورد في التشبه:** نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الدمشقي الشافعي (المتوفى:١٠٦١هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط: دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

• **الحفريات: كيث طومسون، ترجمة:** أسامه فاروق حسن، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

• **دراسات في أساليب التفكير:** د. مجدي عبد الكريم حبيب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

• **دستور الأخلاق في القرآن:** د. محمد عبد الله دراز، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

• **دعوة الحق لهداية جميع الخلق:** د. محمد شوقي نصار، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

• **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر:** ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

• **الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها:** د. أحمد غلوش، ط: دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

• **الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه:** للشيخ. عطية صقر، ط: مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

• **الذريعة إلى مكارم الشريعة:** لأبى القاسم الحسين بن محمد (المعروف بالراغب الأصفهاني) (المتوفى ٥٠٢ هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي، ط: دار السلام - القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

• **السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر:** د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، د. زكريا الشربيني، د. إسماعيل الفقي، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

• **السنة النبوية رؤية تربوية:** د. سعيد إسماعيل علي، ط: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

• **سنن ابن ماجه:** لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره - عَبد اللّطيف حرز الله، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

• **سنن أبى داود:** لأبى داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محمَّد كامِل قره، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

• **سنن الدارقطني:** لأبى الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ـ حسن عبد المنعم شلبي ـ عبد اللطيف حرز الله ـ أحمد برهوم، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

• **السنن الكبرى:** لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي،

أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

• **شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة:** د. محمد علي الهاشمي، ط: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: العاشرة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

• **الشخصية في ضوء علم النفس:** د. محمد محمود الجبوري، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م.

• **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:** نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين عبد الله العمري، مطهر علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، ط: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

• **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:** لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

• **صحيح البخاري:** لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

• **صحيح مسلم،** لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

• **الطاقة الروحية:** هنري برغسون، ترجمة: د.على مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

• **الطب الوقائي في الإسلام:** د. أحمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.

• **العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع:** محمود السيد شيخون، ط: الجامعة الإسلامية، السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ - يونيه ١٩٧٧م.

• **عقد الجمان في بيان شعب الإيمان:** لأبى الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، اعتنى به: نظام محمد صالح يعقوبي، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

• **العلاقات الإنسانية:** د. سيد عبد الحميد مرسي، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

• **علم الأخلاق الإسلامية:** مقداد محمد علي، ط: دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

• **علم نفس الشخصية:** كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

• **غريب الحديث:** لأبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

• **غريب الحديث:** لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني - بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

• **فلسفة التربية الإسلامية:** د.عمر الشيباني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

• **في الأصول الإسلامية للتربية:** د. محمد عبد العليم مرسي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

• **القاموس المحيط:** لأبى طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

• **القدرات العقلية (خصائصها وقياسها):** د. إبراهيم وجيه محمود، ط: دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

• **قواعد البناء في المجتمع الإسلامي:** د. محمد السيد الوكيل، ط: دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م.

• **قياس الشخصية:** د. أحمد عبد الخالق، لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، الطبعة الأولي، ١٩٩٦م.

• **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، بدون تاريخ.

• **الكشف والبيان عن تفسير القرآن:** لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين، ط: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

• **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية:** لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ــ محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة ــ بيروت، بدون تاريخ.

• **لسان العرب:** لأبى الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، ط: دار صادر ــ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

• **لمحات عامة في التفكير الإبداعي:** د. عبد الإله إبراهيم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولي، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

• **لمحات في الثقافة الإسلامية:** عمر عودة الخطيب، ط: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

• **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار:** جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، ط: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

• **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث:** لأبى موسى محمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، (المتوفى: ٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، ط: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى جـ١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، جـ ٢، ٣ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

• **المحكم والمحيط الأعظم:** لأبى الحسن علي بن إسماعيل المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

• **مختار الصحاح:** لأبى عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت ـ صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

• **المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي:** د. نبيل صالح سفيان، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

• **المخصص:** لأبى الحسن علي بن إسماعيل المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم، ط: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م.

• **المدخل إلى علم الدعوة:** د. محمد أبو الفتح البيانوني، ط: دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

• **مدخل إلى علم النفس الإسلامي:** د. محمد عثمان نجاتي، ط: دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.

• **مدخل لدراسة السلوك الإنساني:** د. جابر عبد الحميد، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦م.

• **المستدرك على الصحيحين:** لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

• **مسند أبى داود الطيالسي:** لأبى داود سليمان بن داود الطيالسي(المتوفى: ٢٠٤ هـ)، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، ط: دار هجر للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

• **مسند أبي يعلى:** لأبى يعلى أحمد بن علي بن المثُنى التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون للتراث ــ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

• **مسند الإمام أحمد:** لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة ــ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

• **مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار):** لأبى بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله ـ عادل سعد ـ صبري عبد الخالق، ط: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

• **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي):** لأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ٢٠٠٠م.

• **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:** لأبى العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، ط: المكتبة العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

• **معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءاً من كتاب السيد نور الدين الجزائري،** تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

• **معجم اللغة العربية المعاصرة:** د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

• **المعجم الوسيط:** مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: دار الدعوة، بدون تاريخ.

• معجم علم النفس والتربية: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٤م.

• **معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة):** أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، ط: دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م.

• **معجم مقاييس اللغة:** لأبى الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

• **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):** لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة،١٤٢٠هـ.

• **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم:** لأبى العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (المتوفي: ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ـ أحمد محمد السيد ـ يوسف علي بديوي ـ محمود إبراهيم، ط: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

• **مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها:** على أحمد مدكور، ط: دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

• **المُنَجَّد في اللغة:** لأبي الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: د.أحمد مختار عمر، د. ضاحي عبد الباقي، ط: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

• **منهج التشريع الإسلامي وحكمته: ضمن «المحاضرات» المطبوعة بـ «بآثار الشنقيطي»:** محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي - جدة، ط: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

• **مهارات التفكير الإبتكاري:** د. محمد عبد الغني حسن هلال، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

• **الموافقات:** إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور حسن، ط: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

• **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ):** د. صالح بن عبد الله بن حميد، وآخرون، ط: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

• **نظام السلوك الإنساني انعكاس لواقع النظام الكوني:** د. محمد سعيد رمضان البوطي، **مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٠٣، أغسطس ١٩٧٣م.**

• **النهاية في غريب الحديث والأثر:** لأبي السعادات مجد الدين بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص عربي	٧٠٧
الملخص إنجليزي	٧٠٨
المقدمة	٧٠٩
التمهيد	٧١٤
أولا: التعريف بأهم مصطلحات عنوان البحث	٧١٤
ثانيا: التغيير الجذري الذي تقوم به دعوة الإسلام في تكوين الشخصية	٧١٩
المبحث الأول: أبعاد الشخصية الإنسانية	٧٢٤
• **المطلب الأول:** الإيمان	٧٢٤
• **المطلب الثاني:** الفطنة والذكاء	٧٣٢
• **المطلب الثالث:** العقل والتفكير	٧٣٧
• **المطلب الرابع:** السلام النفسي	٧٤٣
• **المطلب الخامس:** العلاقات الإنسانية العامة	٧٤٨
• **المطلب السادس:** الإيجابية	٧٥٢
المبحث الثاني: المقاصد الشرعية لبناء الإنسان	٧٥٧
• **المطلب الأول:** البناء العقدي للإنسان	٧٥٧
• **المطلب الثاني:** البناء التعبدي للإنسان	٧٦٧
• **المطلب الثالث:** البناء الأخلاقي للإنسان	٧٨١

• **المطلب الرابع:** البناء الفكري للإنسان	٧٨٦
• **المطلب الخامس:** البناء الجسماني للإنسان	٧٩٠
• **المطلب السادس:** البناء الاقتصادي للإنسان	٧٩٦
• **المطلب السابع:** البناء المجتمعي للإنسان	٨٠٢
الخاتمة	٨٠٥
المصادر والمراجع	٨٠٩
فهرس الموضوعات	٨٢٢